غربله أصول الدين

(تمهيد و تحذير)

بسم الله الرحمن الرحيم " كل شئ هالك إلا وجهه " . و بما أن الله هو الحق ، فلا يمكن للحق أن يهلك بالنقد و الغربله بل و لا بالسخريه و السب و الاستهزاء و الكفران . و لهذا كان القرءآن العظيم مليئا بالكثير جدا مما قاله الكفار و أهل الضلال في حق الله تعالى و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر . أي في كل أصول الدين . و نحن مأمورون بأن نتلوا هذه الكفريات التي نطقوا بها من قبيل "إن الله فقير و نحن أغنياء " ، و ليس فقط أن نتلوها ، بل و أن نجودها و نتغنى بها و الله لم يأذن لشئ كما أذن لنبي يتغنى بالقرءآن ! فسبحان الحق المتعالي ، سبحانه جل شأنه . و في نهايه المطاف ، فإن بغي الإنسان إنما هو على نفسه ، و تسبيحه و صلاته إنما هي لنفسه . " و ما أنتم بمعجزين " .

هذا الكتاب هو مجموعه كتب و مقالات تحتوي على ما يمكن أن يدخل ضمن أشنع و أخبث نقد لأصول الدين . و الفائده من نشرها – لا أقل – يمكن تلخيصها في أربعه أمور :

أولا ، اتباعا لسنه القرءان في الاعتراف بما يقوله العدو و الغير ، بل و حتى ما يقوله السفهاء كما جاء في سوره البقره المباركه مثلا " سيقول السفهاء من الناس : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها. قل : لله المشرق و المغرب " . فبالرغم من إقراره أولا بأنهم سفهاء ، مع ذلك ذكر مقولتهم . و لهذا أسباب و أسرار ، أحد الأسباب هو أن الحق كامن في كل شئ بنحو أو بآخر ، و بدرجه أو بأخرى ، و من عينهم رأت الحق لا إله إلا هو ، أي بعين عقولهم و مشاهده أسرارهم ، فإنهم يحسنون استخراج الحق و المعنى من كل شئ مهما بلغت سفاهته ، و أيضا تكون المقوله السفيهه كالنار لزيت المشكاه العاليه ، أي سببا و وعاءا لاستقبال نور المعرفه و الفكره الأوسع و الأصح و الأحسن . و لهذا بعد أن عرض مقوله السفهاء ، لم يكتفي بالقول : إنهم لا يستحقون الخطاب و لا الجواب . بل ذكر سفاهتهم و خلد مقولتهم في أعظم كتاب على سطح الأرض ، ثم كشف عن سر إلهي و معنى عقلي كجواب لهم . فهذا التعالي الذي نراه من قبل البعض عن ذكر مقولات الأغيار و الكفار ، بل لعلهم يتعالون حتى عن ذكر مقولات بعض أهل الإسلام و أتباع القرءآن ، هو تعال مخالف لسنه الله تعالى في تعامله مع عباده و عبيده . و في هذا الكتاب الذي بين يديك ، يوجد ما نظن أنه يعتبر من أبلغ الضربات التي يمكن أن توجه لأصول الدين ، سواء منها ما تعلق بالله تعالى أو بالملائكه أو بالإنسان الكامل أو باليوم الآخر ، و فيها مزج بين حق و باطل ، فهو نقد داخلي من صلب الأمر ، و ليس النقد الذي نعتبره غبيا ، و هو النقد الخارجي الذي يبدأ من منطلق اعتبار الأمر باطل لأسباب خارجيه عنه ، كمن يكفر بالوحدانيه الإلهيه على زعم أن هذه عقيده سياسيه المنشأ أو نحو ذلك من هذر .

ثانيا ، حتى يكون المؤمن على بصيره عقليه من أمره . فإن الهروب من المباحثه و السماع للنقد و النقض لا ينبع من " قوه العقيده " أو " الغيره الدينيه " ، و لكنه ينبع في الغالب الأعم إن لم يكن دائما من نفس تدرك في أعماقها أنها على باطل أو على ضعف ، فتخشى أن يهتز هذا الأمر الذي اطمأنت إليه . و في الكثير من الأحيان

يكون المتخوف على حق فعلا ، و لكن خوفه على حقه يجعله يتغاضى عن ما يقال ضده . و قد يكون بكل بساطه لا يملك الوقت أو الرغبه في السماع للأغيار ، و التدقيق في النقوض ، و من حقه أن يكون كذلك ، و لكن ليس من حق علماء الأمه عموما أن يكونوا على هذه الشاكله ، فلنقل أن وجوب جمع كل ما يقال ضد هذه المله ، أصولا و فروعا ، هو من الفروض الكفائيه ، فيجب على البعض أن يقوم بها و إلا أثم الجميع بمخالفه سنه القرءآن من جهه و بإعطاء الآخرين انطباع الجبن و ضعف العقل عند المسلمين من جهه أخرى . و لله الحمد لم يكن هذا حال المسلمين لا في السابق و لا في اللاحق اللهم إلا أنه في هذا الزمن و لأسباب خارجيه ضعف هذا التوجه ، و هذا الكتاب مساهمه في إحياء هذه السنه و شاهد على حياتها في المسلمين . و لولا أهميه الإطلاع على مقولات الأغيار و سفاهات الكفار ، لما ذكرها القرءآن و بسط فيها ، بل قال " و كذلك نفصل الآيات و لتستبين سبيل المجرمين " . فمعرفه طريق المسلمين يمكن أن يتم مباشره و غير مباشره . أما المباشره فمعروفه ، أي عن طريق ذكر العلم الحق و العمل الصالح في حد ذاته . و الطريق الغير مباشر هو عن طريق ذكر المقولات الباطله و الأعمال الفاسده ، فعندها يعرف الإنسان مظاهر الباطل فيعرف الضد بضده . و القرءآن جمع نور المباشره و الغير مباشره. و هذا الكتاب الذي بين يديك هو من النور غير المباشر ، في عمومه .

ثالثا ، حتى يعلم الأغيار أننا على إطلاع واعي بما يمكن أن يثار ضد ما نعرفه و نؤمن به و نحيا على أساسه ، و أننا لسنا من يدفن رأسه في التراب - إن صح هذا التعبير . بل عندنا من النقد و النقض فوق ما عندهم بمراحل . و هذا ما لا يحسن الكثير جدا من الأغيار أن يقوم به في حق نفسه و رؤيته الوجوديه و مناهجه . فتفوق المسلمين هو أنهم يعرفون بالتفاصيل ما يضاد الإسلام . لا أقل هذه هي السنه و الأصل ، و المخالف لها محجوج بها و ليس حجه على من التزم بالسنه .

رابعا ، حتى تتبين الرؤيه و المنهاج الأقوى ، و يتبين العالم من الجاهل و تمتاز مراتب العلماء . و هذا شأن داخلي في الأمه . فإن في هذا الكتاب من النقود ما لا يمكن حله إلا بالدخول في زمره العرفاء و أهل الحقائق العاليه . و لكن حيث إن الكثير من الناس يشكك بل يرفض بل يكفر طائفه العرفاء ، فإنه وجب علينا أن نعرض عليهم من المشكلات ما يسوقهم بالسلاسل و الأسواط إلى جنه العرفان ، رحمه بهم و حبا لهم . فمن أراد أن يختبر درجه عالمه و إمامه ، فليعرض عليه هذا الكتاب و ليجد كيف يحل مشكلاته . و في الحقيقه ، هذا هو السبب الأبرز الذي دفعنا إلى نشر هذا الكتاب بإذن الله ، و الله من وراء القصد .

هذا كان التمهيد . أما التحذير ، فهو أن تعرف أنه في الغالب ، من يدخل في مثل هذه الاعتراضات إن لم ينل توفيقا خاصا من الله و كان من أهل الرياضه المعنويه و التدقيقات العقليه ، فإنه سيهلك في نارها . فمن كان عقله من ذهب ، سيزداد رقي قلبه و لمعانه به . و من كان نحاسا مغطى كالمنافقين بالذهب ، فإنه سيبرز على حقيقته ، " ليميز الله الخبيث من الطيب " .

و لكن هل يجوز نشر كتاب يكون سببا لهدايه البعض و زياده تبصرهم ، و سببا لإضلال الكثير و زياده خسرانهم ؟ الجواب : مع الفارق الشاسع جدا ، الفارق الفلكي بين كتاب الله تعالى و أمثال هذا الكتاب الذي لا يساوي ذره غبار تحت قدم القرءآن المجيد، فإن الجواب قرءاني ، إذ يقول عن نفسه المباركه " و ننزل من القرءآن ما فيه شفاء و

رحمه للمؤمنين و لا يزيد الظالمين إلا خسارا " ، و يقول " و ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا و كفرا " ، و يقول " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " . فإن كان القرءآن و الرسول ، و هو مثلنا الأعلنا و الأسوه الحسنه ، لا يأتي بنور بحت للجميع ، بل أكثر الناس سيعذبون و يزداد انحطاهم في جهنم بسبب مجئ القرءآن و الرسول . و للقله المنتخبه ، ليهلك الكثره الغافله . فمن سنه القرءآن أن يقال الحق و يعطى الدواء على مرارته و شناعته و بشاعته أحيانا ، حتى يتناوله من سبقت لهم من الله الحسنى فيصحوا ، و يعرض عنه أهل الظواهر و المظاهر السفليه فيحق عليهم القول فيكونوا من حطب جهنم ، " قل : الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون " .

فمن أراد أن يحتاط لنفسه ، فليقرأ الكتاب مع عالم خبير . و أما المسؤوليه الأخيره فعلى الفرد ، إذ "و كلهم آتيه يوم القيامه فردا " .

هذا فيما يتعلق بالتمهيد و التحذير ، و الآن إلى الكتاب ، فتعالوا ننظر .

...

(ابليس شمس المستنيرين)

ما أتعسك أيها الانسان! لقد قال لك السحرة أن عدوك هو ابليس و لكن في الواقع هو مثلك الأعلى الذي تصبو اليه! ابليس الثائر على الطغيان, الثائر على الأوهام, الثائر على ازدواجية الوجود, الثائر على ذل الخلق. ابليس هذا العظيم الذي أراد أن يرجع الرب الى صوابه بعد أن اختل نظام تفكيره و عمله.

لابليس صفات و افكار جعلته في نظري امام المستنيرين, و سندرس هذه الامور من كتاب ادم. فتعالوا ننظر...

(تعبيد الخلق للخلق)

عندما قال الله –سامحه الله- "اني خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" بدأ الصراع في السماء و الذي امتد بعد ذلك الى الارض, بالضرورة, و ها نحن الى اليوم نكتوي بنار هذا الصراع الذي بدأه و لا يزال يعززه الله بقوله هذا.

لاحظ أنه فعل أمرين: خلق المنافسة بين المخلوقات, و رغب في أن يجعل بعض المخلوقات تسجد و تخدم و تنذل لمخلوقات أخرى, بالرغم من أن الخلق كله سواسية كاسنان المشط بالنسبة للخالق المتعالي, أو هكذا يفترض أن يكون الأمر اذا كان الخالق محسنا ويرغب في السلام و الرحمة. و بالطبع فان المخلوق لن يرضى أن يسجد لمخلوق مثله, اذ هذا من مقتضيات اختلاف الوجود و عدم تناغمه السلمي. و لكن المفاجئة كانت أن الملائكة كلهم أجمعون قد سجدوا و قبلوا هذا الذل و هذه الخيانة للوجود, فكون الملائكة مخلوقين من نور (و هذا ما لم يصرح به القرءان أصلا) هو وهم, فالملائكة ضعاف النفوس, جبناء, لا يعرفون حقا من باطل, بل يسمعون الكلام فيعملون بأمره, و هذا هو المثل الأعلى للعبيد الذي يحلم به كل طاغية سواء كان الهي أو بشري-و هل يوجد فرق اصلا. و من هنا نرى أن الطاغية البشري هو الذي ابتكر هذه القصة أو قل حرفها حتى يصور للناس أن الملائكة الذي يطيعون الأوامر فورا هم المثل الاعلى للانسان, و بذلك يسلم لهم حكمهم. و ما الفرق بين فرعون و موسى الا أن فرعون استطاع أن يستعمل جنود حقيقيين جسمانيين لكي يعبّد الناس له, أما موسى و لعجزه عن ذلك اضطر أن يخلق فرعونه في السماء و يخلق له جنود و حاشية ثم يجعل نفسه هو رسول هذا الفرعون الوهمي. ففرعون أسس ملكه على القوة الجسمانية و موسى أسس ملكه على القوة النفسانية, كلاهما طاغية في الجوهر و لكن الاختلاف في الصور.

و نحن نعلم أن روح المنافسة بين الناس هي من أكبر, ان لم تكن اكبرأسباب الشقاء و الفرقة و النهب. و هل النظام الاقتصادي المالي قائم الا على فكرة المنافسة, و هل الحيوة الدنيا قائمة الا على الرغبة في الشعور بالكبرياء عن طريق منافسة الاخرين في الممتلكات المالية و الجسمانية؟و من الذي بدأ و خلق المنافسة بين المخلوقات؟ الله الرحيم عز شأنه! و ليته اختار أخف الضررين و جعل الملائكة تكتشف وحدها عظمة ادم (ان كان له عظمة اصلا) و تختار طوعا أن تسجد له بناء على قناعة شخصية و بذلك تغيب روح السيد الطاغية الآمر الذي لا معقب لحكمه, و تغيب روح المنافسة السيئة. و لكنه لم يكتف بذلك بل خلق أسوأ أنواع المنافسة, المنافسة المصحوبة بالعبودية و الخدمة و التي لا مفر منها الا الى جهنم.

فهؤلاء الملائكة يشبهون المخانيث من البشر الذين نراهم يسبحون بحمد الطاغية مهما كان سفيها أو ظالما لا لشيء الا لينالوا رضاه و لقمة العيش منه. و لعلهم يقولون: أن ننذل الى طاغية واحد و نملك القدرة على اذلال البشر خير من ان نثور على الطاغية فيذلنا الطاغية و باقي البشر. و منطقهم هذا جيد لا بأس به. نعم الواقع أن الذي يتحمل ذل الطاغية فانه يملك أن يذل باقي الناس بسلطانه و ماله الذي يستمده من عبادته للطاغية. و أما الناس العاديين فانهم لا يملكون من دون الله من ولي و لا نصير, مع الاسف. و نحن لا ننظر الى فروع الامراض للنوح عليها و لكننا نبحث عن جذورها لكي نقتلعها. و جذر مرض المنافسة هو قول الله هذا. و قوله تمثل في الواقع في اختلاف قدرات البشر و مواهبهم, و في محدودية الموارد الطبيعية و كونه لا يهب العلم الا لقلة من الناس, و هذه الامور الثلاثة هي تمثّل قول الله ذاك, و الذي هو سبب كل منافسة و عبودية الناس لبعضها البعض, و لن يتغير الحال ابدا اللهم الا اذا تغيرت العوالم كلها- بعد ان يتوب الرب و يستمع الى نصح ابليس- و هيهات هيهات لما توعدون , اذ قد قرر انه "لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون" مع الاسف.

و هنا ظهر ابليس هذا العظيم. و بعض التفسيرات (و لها قرائن جيدة من سياق و روح القصة) تقول أن الذي اعترض على الله بالكلام أولا و قال "أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك" هو ابليس. فكما تلاحظ أن ابليس بدأ ثورته بالكلام و المناقشة الجدالية السليمة, و كما هي عادة كل فرعون فانه لا يبالي الا بما يصدر عنه "لا يسأل عما يفعل و هم يسألون" . هل يوجد أي عيب أو خلل في حجة ابليس التي عارض بها حكم الله في أن يجعل ادم و ذريته هم خلفاء الارض؟ أليس الناس يفسدون في الارض و يسفكون الدماء كل يوم؟ بل حتى عندما جاء "الأنبياء المخلصون" فانهم هم أنفسهم كانوا السبب في الافساد في الارض و سفك الدماء بدرجة أو بأخرى. و حتى اذا افترضنا أنهم هم أنفسهم لم يسببوا ذلك مباشرة (بالرغم من أننا نستطيع

أن نثبت عكس ذلك) فان تعاليمهم و أفكارهم و كتبهم التي جاؤوا بها تسببت في ذلك. و الى اليوم نرى اثار ذلك. فالخليفة و الذي يفترض أنه بديل الله في الارض, و هذا هو معنى الخليفة أي البديل الذي يأتي محل الأصيل اذا غاب, هذا الخليفة يجب أن يمثل حكم الله. و اذا كان الله عادلا رحيما حكيما كما يقال, فكيف يجعل ادم الخبيث و ذريته المفسدين المتوحشين هم خلفاءه؟ حجة مستقيمة لا تشوبها شائبة. و لكن الذي وقع كان أن الله رضي عن ادم و اختاره. فنحن أمام ثلاثة أمور لا رابع لها: اما أن الله اختار ادم لان ادم فعلا يمثل رغبة الله في الافساد و سفك الدماء, و هذا ينسف فكرة الله الرحيم كلها. و اما ان الله فهم كلام ابليس و لكنه لم يرغب في العدول عن رأيه حتى لا يظهر في مظهر الضعيف و ناقص العلم (و هذا ما نراه في الناس يوميا و الطواغيت خاصة!) و هذا الاحتمال أسوأ من سابقه. و اما أن الله لم يفهم كلام ابليس أصلا اما لنقص في عقله و رؤيته أو لأنه نرجسي مستهلك في نفسه لا يستطيع أن يسمع رأي أحد غير الذي يدور في عقله (و هذا أيضا نراه يوميا في الناس و الطواغيت بشكل عظيم و المتدينين بدين الله كذلك!) و هذا أسوأ الاحتمالات الثلاثة. كلها احتمالات تنحدر من سيئ الى أسوأ. و كل الاحتمالات تظهر ابليس على أنه صاحب قول الحق في هذه المسألة. و لا حياة لمن تنادي يابليس!

و خطأ اخر ارتكبه الله هو أنه قال "اني جاعل في الارض خليفة" كيف يكون لك خليفة و أنت في كل مكان؟ لا يمكن استخلاف شخص الا اذا غاب الأصيل (كمثل موسى لما غاب استخلف اخوه هارون في القصة المعروفة في سورة طه المباركة) فاذا كان الله في كل مكان, و هو الاول و الاخر و الظهر و الباطن, و اذا كان "و هو معكم أينما كنتم" فكيف تستخلف؟ ابليس نبه الله على قوله هذا. و لكن يظهر أن الله غفل عن نفسه و حضوره التام في كل مكان, أو لعله أراد أن يعاكس الحقيقة لا لشئ الا لأنه يستطيع أن يفعل ما يريد, او لعله تكاسل و حصر نفسه في السماء. لا يوجد احتمال يمكن أن نأخذ به فعلا الا أن نقول أنه غفل عن نفسه. ان ابليس يرى أن وجود خليفة هو أمر طغياني بحد ذاته. أيا كان هذا الخليفة و أيا كان اسمه. وجود السلطة يقتل الانسانية و يذل المعرفة الحرة. و هل يخاف الناس من العقل الحر الا لان "خلفاء الله" على الارض قالوا لهم أنهم يجب أن يطيعوا الله و يسلموا تسليما لرسله و أولي أمره؟! فهذا كما نرى أمر مشاهد و ليس تخييلات نظرية. ابليس لا يعرف التخيلات النظرية و لكنه واقعي و عميق و لا يبالي بالسلطة.

و خطأ اخر من سلسلة اخطاء الله التي ذرعها سبعون ذراعا هو "و علّم ءادم الأسماء كلها" . هنا بدأ احتكار المعرفة عامة و الدينية خاصة من قبل "خلفاء الله و اولي أمر دينه رضي الله عنهم" و أيضا احتكار المعرفة من قبل الرجال دون النساء. لاحظ أن الله لم يعطي هذا العلم لكل الملائكة و الجن و الانس, و لكنه خص به شخص واحد, ثم أمر الاخرين بالسجود له. أي ظلم هذا! لماذا لم تعطي هذا العلم لكل أحد, اذ خزائنك لا تنفد و كرمك لا حد له و أنت

الوهاب الرحيم, و بذلك توفر علينا شقاء عظيم؟ تسبب المشكلة بأعمالك ثم تخلق جهنم لتعاقب الذين لم يكن ذنبهم الا أنهم تأثروا بعملك هذا و الذي لا يد لهم فيه؟ ثم لماذا لم تعلم النساء أيضا هذا العلم؟ يقال ان الله يعلم الرجال و على الرجال أن يعلموا نساءهم. ها هوالطغيان و أبوابه تفتح مرة أخرى. الرجال أصحاب الكبرياء اللامتناهي لن يعلموا نساءهم خشية من أن تتركهم نساءهم أو يثوروا عليهم و لا يكونوا كالعبيد تحت أقدامهم و يصدقوا أي شيء يقولونه لهم و يطيعوا فورا أي شيء يأمرونهم به (و هذا معروف تاريخيا و واقعيا خاصة في البلاد التي تتقي الله حق تقاته) . تخصيص رجل دون باقي رجال الملائكة و الجن, و تخصيص الرجال دون النساء. احتكار في احتكار, و الاحتكار من عائلة المنافسة القبيحة. فيظهر أن الله هو رجل أعمال يهودي!

و مع الاختصاص و الاحتكار يأتي الذل و اخوه الوساطة. فكون الملائكة يرغبون في هذا العلم, فانهم اضطروا أن يذعنوا لادم, فيظهر أن سجودهم كان عن نفاق و مصلحة. و كون الله اختص ادم بذلك العلم فان ادم اصبح وسيطا بين المخلوقات و ربهم. و ها هو الكهنوت في أجمل صوره! و ها هي محاكم التفتيش و أحكام الردة و تعبيد العقول لرجال الدين و الفتوحات الدينية المقدسة و سلسلة اخرى من سلاسل جهنم. و كالعادة فان الله هو المحرك الأول لهذه السلسلة المباركة.

و نرى هنا سذاجة فرعون السماء عندما جعل "علم الأسماء" هو الرد على اعتراض ابليس "أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء" هذه سذاجة ما بعدها سذاجة. و كأن السبب في أن البشر يفسدون في الارض و يسفكون الدماء يوميا هو أنهم لايملكون علم الأسماء, أيا كان معنى هذه الأسماء. و كأن الله نفسه ليس له أي سبب في اشعال نار الحرب بين الناس. مازلنا في الفقرة الثانية من كتاب ادم و قد رأيتم مقدار الوقود الالهي و الفساد الموجود فيها. ثم بعد أن أظهر فرعون السماء حجته العظيمة هذه (على الاقل هو يرى ذلك, وقد تعودنا أن نرى الطواغيت و المترفين بهذه السذاجة) راح يفاخر الملائكة و يقول "ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات و الارض" ما علاقة هذا بالموضوع؟! نحن نختلف معك على خلق المنافسة و الاحتكار و الوساطة و البشر بصورة عامة و أنت تقول "علم الاسماء" و "غيب السموات و الارض". ان رد ابليس على هذه السذاجة لم يذكر في هذه الفقرة و لكنه يظهر بكل قوته في الفقرة القادمة.

كثير من الناس يدعون أنهم من الثائرين على الظلم و أنهم محبين "للحقيقة" على فرض وجود شيء من هذه الحقيقة التي يتصورها الناس بصور غريبة عن الواقع. فما ان تأتيهم صفعة أو صفعتين حتى تخور قواهم و يرتدوا على أعقابهم و يذعنوا للسلطة. ابليس ليس كذلك. و قف و صمد سبع مرات و طبق عمليا قناعته الفكرية. كل مرة

يقول الله "اسجدوا" يأبى ابليس. احيانا يأبى صامتا, و هو ما يسمى اليوم "العصيان المدني" , و أحيانا يأبى و يرد على الامر كقوله "ءأسجد لمن خلقت طينا" و أحيانا يقف مع اخوانه من الثائرين ليتقوى بهم, و أحيانا كثيرة يقف بمفره لا يبالي و لو خالفه كل الاخرين. سبع مرات (عدد المرات التي ذكر فيها امر الله بالسجود و عصيان ابليس لهذا الامر) تدل على أنه لن يتهاون و لن يداهن و أنه مدفوع بعلم قوي و رؤية عظيمة و رغبة صادقة. ان الانسان- أي انسان- قد يعارض, و لكن لا يمكن لكاذب أو مدفوع بهوى نفسي أن يصمد في مواجهة كل قوى العالم و لو كلفه ذلك حياته و نعيمه.

و لاحظ أن الله يؤكد على فكرة سجود الملائكة "كلهم أجمعون" و هذه سياسة القطيع التي يعشقها فرعون و يعشقها البهائم من الناس الذين هم أكثر الناس بنص القرءان "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا" و هنا مفارقة أخرى من مفارقات الله العجيبة, يخلق المشكلة و يؤيدها من ناحية, و يذم المشكلة و يلعن اصحابها من ناحية اخرى. يخلق الامراض و يلعن الاعراض! و ما الأمر المهم الذي يجعله يؤكد على سجود الملائكة "كلهم أجمعون" , و هل الكثرة اذا عملت شيء دل أن هذا الشئ صحيح؟ "ان تتبع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله". و هنا قوة أخرى من قوى ابليس و هي أنه لا يتأثر بعدد الاخذين بالرأي و لكنه ينظر في الرأي بحد ذاته. و هذه القوة لا يملكها الا العظماء فعلا. و أما السفهاء فانهم ينظرون في السواد و يجعلون رأيهم هو الحق اليقين الذي لا يختلف عليه اثنان.

يقول الله أن ابليس لنا "عدو" و ما هي عداوته؟ أنه رفض كل الظلم الذي سببه الله الى الان؟ اننا نحن أنفسنا نرفض هذا الظلم حتى و لو كان في مصلحة كبريائنا. نعم اني أعلم أن الناس تنظر في هذه القصة و تقف الى جانب الله و الملائكة ليس لأنه الحق و لكن لأنه يخدم كبرياءهم. فاعلم أن مخالفة الله و الملائكة و الظلم أيضا يخدم كبرياءك. انه عدونا لأنه يريدنا أن نرى الظلم الذي ارتكبه الله في حق الوجود و تناغمه. انه عدونا لانه وقف في جانب الحق. انه عدونا لانه يسعى يوميا الى تنويرنا و جعلنا نستيقظ من غفلتنا و أن نتقوى بعقولنا .نعم بالنسبة لفرعون و جنوده لا شك أن ابليس عدونا, أو قل عدوه هو, لأن الراعي لا يرغب في أن يتحول قطيعه الى كائنات متطورة عاقلة ثائرة. هو يريدهم أذكياء بدرجة تكفي لأن يعملوا له فقط.

ان ادم استعبد الملائكة بعلم الاسماء, و هذا العلم استمده بطريقة غير عادلة و مشروعة من ناحية الحق العام و المنفعة, و لذلك أبى ابليس أن ينظر اليه أصلا. فهو لم يعترف بروح ادم لأن روح ادم نفخت فيه بنية خبيثة ظالمة. و المستنير أرقى من أن يقبل روحا ضارة. و تصور هذا المشهد العظيم الذي تسجد فيه ملايين الملائكة لادم و لعله كان جالسا على عرش, و في هذا المشهد لا يوجد الا ابليس واقفا بكل قوة, و القرائن تظهر وجود بعض من الثائرين

معه. تصور وجه ادم و هو ينظر الى كل هؤلاء العبيد الأغبياء المنافقين يسجدون له و يرى ابليس رافضا ثائرا. لقد نسي و غفل عن كل هؤلاء و استقر نظره على ابليس و أوليا ءه, و يظهر أنها كانت نظرة اعجاب و تعظيم, و سيظهر أثر هذا الاعجاب لاحقا في الجنة. و الله ينظر الى المشهد و المعارضة و كل مرة يكرر فيها أمره بالسجود, ويأبى ابليس الا الرقي و العزة و الكرامة للمخلوقات. الله يأمر و ابليس يثور. الله يأمر و ابليس يرفض. حتى استيأس الله و نادى ابليس ليحاكمه, و هذا مظهر من مظاهر محاكم التفتيش السماوية- اعاذنا الله منها.

"قال يابليس ما منعك الا تكون مع الساجدين. قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصل من حما مسنون. قال يابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين. قال انا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين. قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك. قال انا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين. قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج منها فانك رجيم"

لاحظ أن الله استدل على صحة أمره بالسجود بثلاثة حجج: بالاجماع, و أنه خالق ادم, و أنه الآمر. ثلاث حجج كل واحدة أوهى من الثانية و لا واحدة تصب في جوهر الموضوع. الاجماع, أي "تكون مع الساجدين" و قد فرغنا من تبيين سخافة هذه الفكرة التي تستدل على صحة الأمر بعدد الذين يقومون به, و يظهر أن الله استدرك على نفسه فأنزل في القرءان اصلاح ابليس له فقال "ان تتبع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله" , فالحمد لله فحتى فرعون يمكن أن نرجو له الهداية و التزكية يوما ما. و الثانية "خلقت بيدي" و لا أعلم هل باقي المخلوقات خلقهم برجليه مثلا؟! الكل مخلوق بيدي الله فلا فرق, الكل سواسية كأسنان المشط, الكل خارج من جوهر الله اذ هو الأول الذي ليس قبله شيء. و الثالثة هي "اذ أمرتك" و لاحظ هنا ظهر الغضب عليه لأنه لم بستطع أن يبرهن على صحة كلامه و يظهر هذا الغضب في أنه لم يذكر اسم ابليس كما في المرتين السابقتين, و كما هي عادة الطغاة فان صحة أوامرهم تستند على شيء واحد في نهاية التحليل و هي أنها "أوامرهم"! فطالما أنه أمر فالأمر يجب أن ينفذ ليس لأن الأمر نافع أو معقول و لكن لأنه أمر و حسب. و ترى أثر هذه الفكرة السخيفة الى اليوم في عبيد الأديان الذين يقولون بضرورة طاعة الله و رسوله و لو كان الأمر غير معقول و غير نافع في هذه الحياة. و اخر استدلالهم هو "اسجد لاني أمرتك" . و هذا الشبل من ذاك الأسد.

و رد ابليس لم يكن بذاك الرد القوي الظاهر بذاته و ذلك لأن الله لم يقدم أي حجة نافعة أصلا. فاعتراض ابليس الحقيقي هو في رفضه و ليس الا جزء بسيط منه هو الذي يظهر في الحجج التي أدلى بها كمثل تفضيله النار على الطين. فهو أصلا اعترض على تفضيل البعض على البعض الاخر, و اعترض على هذه المنافسة أصلا و هذا ما

يثبته الواقع و هو أن الكل يكمل الكل و ليس بأحد مستغن عن أحد عامة. فكأن الرسالة المبطنة لابليس (تذكر أن المستنير يخاطب الاخر بحسب ما يناسبه) هي هذه: يالله لماذا تخلق هذه المنافسة و التفضيل, حسنا ان كنت تدعي أن ادم افضل مني فاني ساعارضك و أدعي أني أفضل من ادم حتى ترى أنك لن تستطيع اثبات صحة دعواك. و هذا ما وقع فعلا, فان الله لم يفند حجة ابليس و يثبت أن الطين أفضل من النار(و بذلك يكون قد علل أمره) و لكنه اكتفى بذكر أنه الآمر. و هذا يظهر أن ابليس قد افلح في اظهار حجته. عمل ابليس هنا يشبه عملنا عندما يأتي لنا واهم متدين ويقول لنا أن الهه زيد خلق العالم, و حيث اننا لا نملك أن نقدم له رد علمي و لا حتى هو يملك أن يقدم لنا برهان علمي اذ ما أدرانا فعلا؟! فكل ما نملك أن نرد عليه به حتى نجعله يفهم سوء فكرته و استدلاله هو ان نقول له :لا ان حرفوش هو الذي خلق العالم. و عندها لن يستطيع أن يكذب قولنا و يثبت خطأه و بذلك يفهم أن فكرته هو ذاته ليست قوية أو علمية على الاطلاق. فهذا الرد من ابليس هو أول رد علمي و تأسيس للاستدلال العلمي و الجميل في ان واحد. و اذا نظرنا في أقوال ابليس و افعاله سترى أنه فعلا أول المستنيرين الثائرين.

قد يقول أحد أعضاء حزب الله: ان الله لم يرد على ابليس و يعلل له أمره لأن الله غير ملزم بتبرير أوامره الى عبيده. او قد يقول: ان الله لم يبرر لابليس لأن عقل الله أكبر من عقل ابليس و لن يفهم ابليس كلام الله. و قد يقول أخيرا: ان الله يعلم أن ابليس قد عزم على الاستكبار و بالتالي لن ينفع معه أي كلام لأنه لن يسمع أصلا اذ هو قد اتخذ قراره و انتهى. تعالوا نرى هل هذه الاقوال لها وزن فعلا و ما مقداره.

أولا أن الله غير ملزم بتبرير أوامره لعبيده. اذا نظرت في القرءان فسترى أن الأوامر معللة و هذا منتشر في كل القرءان, و حتى علماء حزب الله يقرون بهذا و هذه ليست فكرة جديدة أو مختلف فيها بينهم, و الاختلاف حول هذه المسألة هو ليس في وجود علل للشريعة و لكن هل "كل" الشريعة معللة أم بعضها. فأصل التعليل متفق عليه و مثبت في القرءان. و هذا وحده ينسف هذه الفكرة من قاعدتها. ثم ان الذي ليس ملزم بتبرير أوامره هو الطاغية المتعصب الجاهل و ليس العليم الحكيم العادل. الرحمة تقتضي التعليل مع بعض المخلوقات اذ يوجد منهم من لن يعمل الا اذا فهم "و لا تقف ما ليس لك به علم" . دعونا من فكرة "هل الله ملزم أم غير ملزم" اذ لا يوجد محكمة عليا نحاكم الله فيها و نجبره على تنفيذ التزاماته. هل مقتضيات الرحمة و الحكمة هي أن يعلل أم لا خاصة في مواضع الضرورة؟ الجواب البديهي هو نعم. و لكن نحن نعلم أن هذه القصة هي الأصل الذي يستند عليه فرعون و جنوده لكي يبرروا لأنفسهم سياسة التكتيم و التعالي عن التبيين الذي يمارسونه على الناس. ثم من قال أننا عبيده؟ العبد هو الذي يرضى و يختار الرب, هذا هو العبد الفعلي, و أما المكره فلا عبرة بعمله و اختياره اذ "لا اكراه في الدين" و "الا من اكره" و الاكراه يفسد كل شيء. فالذي يكره على شيء حسن فانه لا يحمد, و الذي يكره على شيء سيء فانه لا يذم. و بالتالي نحن لسنا عبيد لله و لسنا عبيد لأحد الا اذا اخترنا ذلك.

ثانيا أن حكمة الله أكبر من أن يفهمها ابليس. نفس ما قيل في الاولى يقال هنا. فان الله انزل كتابه و جعله حاويا لعلمه و حكمته, فلو كان المخلوق السماوي لا يفهم حكمة الله فكيف يمكن للأرضي أن يفهمها؟ ثم هل جرب الله أن يعلل لابليس حتى يعلم أنه سيفهم أم لن يفهم؟ و ما المبررات التي ساقها الله حتى يثبت فيها لابليس أنه لن يفهم؟ فنحن اذا كنا نمتنع عن الاجابة فاننا نبرر سبب امتناعنا و هذا ما لم يفعله الله و لن يفعله كل من ليس له تبرير الا أن يستند الى "اذ امرتك". ثم كون الله لم يبرر أمره فهذا يدل على أن الملائكة الذين سجدوا سجدوا عن جهل و خوف و ليس عن علم و رغبة. و حتى القرءان يقرر أن الملائكة "يخافون ربهم من فوقهم". فهم مدفوعون بالخوف و القلق و الرغبة في العلم بالاسماء, فلا يوجد هذا الاخلاص المزعوم. و بعض التفسيرات تقول أن الملائكة لم يعترضوا أصلا على الله بل سلموا منذ أمرهم فورا و ابليس هو وحده الذي اعترض وحده أو مع أوليائه. يساق هذا التفسير على أنه مدح و تبرءة للملائكة. بالطبع اذ رجال الدين يفضلون أن يروا اتباعهم كالملائكة يطيعونهم فورا بدون تساؤل أو معارضة. فادم محتكر و الملائكة منافقين و ابليس هو المستنير الوحيد في الساحة, و لعل هذا من أسباب رغبته اللاشعورية في الخروج من الجنة, اذ أي جنة هذه التي تحوي مغفلين و بهائم! و هذا ليس بغريب على العقائد الدينية فنراهم يقولون ان أهل الجنة هم الاطفال و الفقراء و المغفلين البسطاء. هذه جهنم بالنسبة للمستنير. فأغلب الظن أن ابليس فرح بالخروج من هذه "الجنة" و لذلك لم يتذلل لله و يقول له "أرجوك أبقيني في الجنة" بل لم يعلق أبدا من هذه الزاوية و هذه عظمة و فردانية ليس بعدها درجة.

ثالثا أن ابليس معاند و لن يسمع. من الذي رأيناه الى الان فان الله هو المعاند و ليس ابليس. متى عاند ابليس؟ هل قال أو فعل أي شيء الى الان و ليس وراءه حجة و رؤية قوية؟ و من الناحية الأخرى هل فعل الله أي شيء يستحق التقدير الى الان و يثبت انه رحيم و يرغب في خير المخلوقات؟ و سياسة رمي المخالف بأنه "معاند" هو أسلوب ديني مشهور يستعمله الأغبياء أو "العلماء" في حزب الله. فهل يوجد أسهل من أن تقول "هذا معاند لن يفهم و لذلك لن أجادله"؟ لا. ثم اذا نظرنا في القرءان وجدناه يجادل و بقوة مع كل الذين يخالفونه, نعم قد يكون هذا من الاداب الراقية التي استدرك فيها الله على نفسه و تعلمها من ابليس. المعاند لا يسمع, هذا صحيح في الكثير من الحالات و لكن في حالات أخرى يكون المخالف المعاند هو أحسن و أعمق السامعين و المهتمين لأنه يريد أن يفهم ما تقوله جيدا حتى يرد عليه. فلو كان ابليس فعلا معاند لكان الواجب على الله هو العكس تماما, يجب أن يشرح له بكل اهتمام و تفصيل.

فكما ترى فان هذه التبريرات الثلاثة هي محاولة يائسة من عبيد الله حتى يطهروا ربهم من الاخطاء التي ارتكبها و لا يزال مع الأسف الشديد. فلا وزن فعلي لها, و على الأقل فان كفة الميزان العقلي ترجح جانب ابليس.

و ماذا رد الله بعد ذلك؟ أنزل على ابليس ثلاث كلمات توازي الثلاث حجج التي ذكرها: رجيم, من الصاغرين, اللعنة الى يوم الدين. و هذه الثلاثة قام الله بتبريرها (ها نراه يبرر فقط عندما يرغب و يلعن, عجيب!) يقول "ما يكون لك أن تتكبر فيها" .و هنا نفهم حقيقة هذه الجنة. فهي حيث لا تكون لك أي شخصية أو فردية أو رأي أو حتى وجود بذاتك. هي حيث تنعدم أنت و يبقى الله. تريد أن تكون كائن محترم؟ لا لا أخرج منها فانك رجيم. فهذه الجنة هي المثال الأعلى للبلدة الفرعونية: حيث فرعون هو الشعب و الشعب هو فرعون و لا وجود الا لفرعون. و بالتالي تكون جهنم هي عكس هذه الحالة, و هي حيث تكون لك فرديتك و شخصيتك و كرامتك و عقلك. أحسب أن جهنم أحسن من الجنة أليس كذلك؟ و لذلك يقول القرءان أن المستنيرين فعلا أي الذين يرفضون العبودية لأي فرعون سماوي أو أرضي أنهم "يدعون الى النار" نعم نحن ندعو الى حرق كل فرعون و الحياة في فردوس الاستقلال و الكرامة النفسية و الاجتماعية. و يظهر ان اله الأديان يعاني من عقدة نقص شديدة و لذلك يريد الاهتمام الدائم و المتفاني من عبيده. من يدري قد يكون السبب أن أمه لم ترعاه جيدا عندما كان صغيرا (ها نعم, ان الله ليس له أم! هذا يفسر كل شيء!) . ما هذه الحالة البلهاء التي يستمتع بها هذا الاله؟! يجلس على عرش لكي يجلس الناس عند رجله ويقولون له "قدوس قدوس" هذا أشبه بمرض نفسي و ليس بخلق متعالي. و يوجد سادية قوية في هذا الاله الذي يستمتع بتعذيب الاخرين و محو شخصيتهم. أحسب أن الساديين يرونه مثلهم الأعلى. و نلاحظ ان عبيد الله الاتقياء هم من أكثر الناس تساهلا في القتل و التعذيب و اذلال الاخرين و محو شخصيتهم و فرديتهم, و هذا ليس بغريب, اذ هذه الثمرة من تلك الشجرة.

و من ايات الفردية في الجنة الفعلية- أي جهنم بحسب رؤية حزب الله- هو أن ابليس سيقول للذين استجابوا لدعوته "ما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني و لوموا أنفسكم" بالطبع اذا عدلنا بعض التحريفات الضرورية و الناتجة من كون القرءان يحكي الأمور من وجهة نظر عبيد الله فان العبارة تصبح هكذا مع التأويل و الشرح: انا لست سيدكم و لا ربكم, و لا يوجد أي قهر أو جبر مارسته عليكم, أنتم مستقلين و أنتم السبب في أنكم أصبحتم مستنيرين, لا تجعلوني اله طاغية مثل الله, لا تنسبوا الفضل لي في استنارتكم, أنت سعيتم و تحررتم و وصلتم فالفضل كله لكم و ما عملي الا أني دعوتكم و ذكّرتكم, فاستمتعوا بما وصلتم اليه بجهدكم. ابليس يحترم الانسان و الله يريد أن يفني و يذل الانسان "كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذو الجلال".

فان كان لنا عدو, عدو لأنفسنا و ذواتنا فهو الله. و هل الكبت الذي يمارس على مدى العصور الا باسم الله؟ و هل الحرية النفسية المطلقة الا بدعوة "الشياطين"؟ و هل أراد ابليس مرة أن يذلنا و هل أراد الله مرة أن يرفعنا؟ ان وجود الله بحد ذاته هو اهانة لفردية و كرامة الانسان. و ليس هذا فقط, و ليت الله اكتفى بهذا, بل زاد الطين بلة و قال "و ما بكم من نعمة فمن الله" و أما الأمور السيئة "فمن نفسك"!! جميل جدا, نسب كل خير الى نفسه و كل شر الينا نحن! هل يوجداهانة أقبح من هذه؟

و ترى الله يثقلنا بالأوامر و العقائد و التهديدات المتوالية و أما ابليس فهل فعل ذلك يوما؟ هل قال أنك اذا رغبت في امرأة (و هذا من طبيعتك التي خلقها الله- أو هكذا هو الفرض) فانك ستذهب الى جهنم؟ هل قال أنك اذا عارضته و اقتنعت بفكر غيره فانه سيجعلك تشرب من ماء كالمهل يشوي الوجوه؟ هل و هل و هل... الى اخر القائمة السوداء. و من ناحية أخرى فكل عمل ابليس هو تحريرنا من اغلال الله, و أن يبين لنا أن دين الله فارغ و ظلم في ظلم و معاكس لطبيعة النفوس و سبب لتدمير التناغم في الوجود و اهانة لفردية النفس. و ليس أقوى دلالة من اثبات أن دين ابليس أرقى من دين الله من هذه الحجة: اذا أردت أن تعرف دين الله فانه عليك أن تذهب الى خلفاءه و أما اذا أردت أن تتبع "الشيطان" فكل ما عليك هو أن تحيا وفق ما تأمرك به نفسك و قلبك. فمن ينبع من جوهر النفوس و من يأتي و يجبر من الخارج؟ أحسب أن الأمر قد ظهر.

و انظر الى ما قاله الله لابليس بعد أن ذكر ابليس- من فرط صراحته و صدقه- الأعمال التي سيضل بها الناس عن دين الله, قال الله له يرشده " و استفزز من استطعت منهم بصوتك و اجلب عليهم بخيلك و رجلك و شركهم في الامول و الاولاد و عدهم" اعطاه أساليب لكي يضل الناس! فلا يكفي انه خلق كل هذا الشر الى الان و لكن اضاف الى ذلك أنه أمد الشيطان بنصائح الهية حتى يضل الناس. و هنا نستشف رغبة لاشعورية من الله تفلتت و هذه الرغبة تظهر ان الله نفسه ليس مقتنعا تمام الاقتناع بدينه. فهو متردد, و لذلك أعطى ابليس وسائل لتبصير الناس و ابعادهم عن دينه. فيظهر ان الله منقسم على نفسه, مشتت, جزء منه يرغب في هداية الناس و جزء اخر يرغب في ابعادهم عنه. و في هذا الجزء الاخير يظهر أن رحمته قد تفلتت من عقالها, فهو يعلم العذاب الذي سيعيش فيه الناس بسبب اتباعهم لدينه, و لكن كبرياءه يمنعه من أن يترك الناس أحرار, و بين هذه و هذه قال "استفزز" و قال "لأملئن" . رغبة جعلته يسعى في تعذيب الناس و رغبة جعلته يسعى في حريتهم. و لتحقيق الرغبة الأولى أرسل الرسل و أنزل الكتب, و لتحقيق الرغبة الثانية خلق ابليس و أرسله أيضا. فالأنبياء من ادم الى محمد هم رسل العذاب, و ابليس رسول الحرية. و ابليس هو الذي سيخرج الناس من سجن الأنبياء الى ساحة التنور و الحرية. و الأنبياء اذا رأوا ابليس او عالم مثل ابليس كان ذلك لهم اية على الفرار, و لذلك جعلت اية نوح هي "اذا فار التنور" و هذا من العلم الذي لا يعرفه عبيد الله الا قليل و القليل لا يظهرونه للناس. هذا من مكنون خزائن ابليس و ها قد

كشف لك. و لم يغرق الناس بالطوفان الا ابليس, بطوفان الأفكار التنويرية و الحرية. و لذلك فر نوح الجبان مع أهله. و لم يبق مع ابليس, الجبل الراسخ في العلم, الا ابن نوح, و ذلك لأنه كان يعلم دجل ابيه نوح و ظلم ربه, اذ أهل البيت اعلم بما في البيت.

و لاحظ أن ابليس لا يعدك بجوائز و لا بحور عين و خمر لذة للشاربين اذا اتبعته, أي تحررت من رق الله. بل يقول لنا القرءان أكبر من ذلك أي ان الشيطان يعد بالفقر. نعم ان ابليس لا يرغب الا في أقوياء يؤمنون بالتنوير لذاته و ليس للوعود الجميلة التي تصاحبه و تزينه. أما الله فانظر ماذا قال لادم " فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. ان لك ان لا تجوع فيها و لا تعرى و انك لا تظما فيها و لا تضحى" تهديد كالعادة, و وعد بملذات جسمانية, و نيك, و تخويف من العدو (أسلوب رجال الدين الدائم-سواء دين السماء ام دين السياسة و هم زوج لا يفترق عادة) فالذين يتبعون دين الله لا يتبعونه حبا فيه و لا فهما لجدواه للناس و الوجود, نعم يوجد قلة تزعم ذلك و لكنها لا تصمد أمام النقد و تفر فورا أمام الجدل. و اذا شئت قم بتجربة بسيطة اليوم: اسأل عشرة من المتدينين بدين الله فعلا, و ليكونوا من اصحابك أو الذين يمكن أن يكشفوا لك مكنون نفوسهم وقل لهم "اذا افترضتم ان الله لم ينزل دينا و أن هذا الدين من صنع البشر, و لا يوجد حياة بعد الموت, فماذا ستفعلون؟ هل ستكملوا صلواتكم و تقواكم و كبتكم لأنفسكم أم ماذا؟" و انظر من هؤلاء العشرة كم منهم سيقول أنه سيبقى على الدين لأنه يعلم جدواه فعلا. لقد قمت انا بهذه التجربة و الى الان كل من رأيتهم من الاتقياء يقول أنه لن يصلي و لن يحفظ حرمة اذا استطاع أن ينجو من عقاب الله و القانون و الناس. جرب بنفسك و على نفسك.

التنوير هو الدعوة و هو الجزاء. هو الكتاب و هو الجنة. هو الوسيلة و هو الغاية. اذا لم تعرف قيمته بذاته فلا حاجة لك به. التنوير دين الثورة و الثروة المعرفية. هو استقلال الانسان عن كل سلطة سماوية أو أرضية, نفسية أو اجتماعية. هو أن تختار بنفسك ما تشاء. و هذا الاختيار لا يكون الا عندما تتحرر من سلطة القهر الخارجي و الخوف و الكبت الداخلي. عندما يموت فرعون السماء و الأرض سيحيا الانسان فعلا. أما الان فهو ليس انسان و لكنه مسخ, جثة لاواعية تمشي. أموات غير أحياء و ما يدرون أيان يبعثون.

مظهر اخر من مظاهر جهل الله بطبيعة الانسان هو قوله "و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" ان جوهر نفس الانسان هو الكبرياء فاذا منعته من شيء رغب فيه, ليس لانه يرغب في الشيء و لكن لأنه يرغب في تحقيق ذاته بكل اتساع. ثم لماذا تمنعه من شيء أصلا؟ ان كنت أنت الله القدير مالك الملك و الفعال لما يريد و الكريم فعلا فلماذا لا تخلق كون مليء بكل شيء و لا فقر فيه و لا حاجة فيه الى هذه التقييدات

و التنازع على البقاء و الاستعلاء؟ فلا يكفي كل ما فعلته الى الان و حتى العالم ستخلقه محدودا مريضا يسبب القتال و سفك الدماء؟ أحسب أن الله يستمتع بتعذيب الانسان. و لاحظ أن أصل الجنة أمور سلبية "لا تجوع, لا تعرى, لا تظما, لا تضحى" هذه اللغة السلبية التحريمية و التقييدية الكئيبة تملأ دين الله من أوله الى اخره. لا تشرك, لا تفعل, لا ترغب, لا تفكر. لا و لا و لا كلها قيود و تحريمات لا يمكن أن تكون صادرة عن عالم بالنفس الانسانية, أو من شخص يرغب في حياة مسالمة ايجابية فرحة. فالدين كآبة ما بعدها كآبة. حتى أعلى الناس في دين الله أي العلماء هم الذي "يخشونه" و "يهابونه" و "يخافون سوء الحساب" . و ما كلمات الحب و العشق التي تفيض بها بعض كتب الدين الا استعارة من متنورين لا يعرفون قيود الأديان الفعلية. و القرءان كله لم يذكر الحب بين الله و العبد الا مرتين أو ثلاثة. و حتى في هذه المرات الزهيدة أحاط الحب بتقييدات و أوامر و تهديدات حتى زالت قيمته. "ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم" أي حب هذا؟ نحن نحب الله بدون أي شرط و لكن هو لن يحبنا الا اذا أصبحنا من قافلة غنم الرسول! ثم لا يكفي أنه جعل الحب مشروطا, و بشرط قبيح كذلك, و لكن زاد عليه ذكر الذنوب و مغفرتها, و بذلك حتى الحب الصادر منا لك قد تشوه و أصبح معلق على رغبات سلبية و مصالح ذاتية دنية و اهانات نفسية و تشويه لصورة الوجود.

والثانية هي قوله "يايها الذين ءامنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله و لا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله واسع عليم" ارتداد, تهديد, منافسة, ذل , خصومة, جهاد, خوف, تقييد و تخمين,و كلام فارغ. لاحظ كل هذه الكلمات السلبية حول الحب.

و الثالثة "أحب اليكم من الله و رسوله و جهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره" أيضا تهديد و تربص و تعبيد الناس لبشر مثلهم. فلا مكان فعلي للحب و الاختيار في دين الله. يجب أن تقبله خانعا خاضعا خائفا ملئ بالخشية اذ لن يتذكر الا من "يخشى" , و اذا لم يعجبكم ذلك فان الله سيمد سليمان بجنود لا قبل لكم بها و سيخرجكم من دياركم أذلة و ستدفعوا الجزية و أنتم صاغرون. دين راقي أليس كذلك؟

و يظهر أن ادم قد اعجب بابليس و عصيانه لله فرغب في أن يفعل مثله. و لولا هذا الاعجاب و كره جنة الله الدكتاتورية بامتياز فان الاستعداد للعصيان ما كان ليتكون فيه. فلما جاء ابليس و وسوس "يادم هل ادلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى" فقد وجدت هذه الوسوسة اذن صاغية واعية و نفس متقبلة. و يوجد بضعة امور في مشهد الجنة هذا تسترعي النظر:

فأولا أين كان الله؟ أليس هو في كل مكان, فلماذا لم يذهب الى ادم فورا و يذكره من جديد بأن هذا ابليس الذي يوسوس و أنه عليه أن يعصيه؟ و ثانيا, كيف دخل ابليس الى الجنة بعد أن طرده الله منها, أم أن الحراس كانوا نائمين؟ هذان الأمران يدلان على أن ابليس بحد ذاته لم يكن هو الذي وسوس, و الوسوسة أمر نفسي, و انما "مثال" ابليس في عقل ادم هو الذي كان يوسوس. و هذا المثال تكوّن بعدما رأى ادم ابليس في مشهد العصيان و سمع منه ما سمع و اعجب به. فعلى عكس ما يتصور الكثيرمن المتدينين, بدون أي سبب, فان ابليس لم يوسوس لادم بمعنى أنه تسلل الى الجنة و دخل في نفس ادم و وسوس له كما يتصور الأطفال. انتهى وجود ابليس الفعلي في الجنة بعد أن طرد منها. و لكن مثال ابليس هو الذي وسوس. و هذا المثال ساكن في باطن ادم. و عقل الانسان يكوّن الامثال بسرعة و تعتمد حياة الانسان النفسية على "تصور الكمال" و ما هو الا الأمثال و القيم العليا التي يصبو الانسان اليها. ففي الحقيقة لم يخرج ادم من الجنة الا ادم. ادم رغب في العصيان و التحرر مثل ابليس. و لذلك عصى. و لكن بعد أن هبط و رأى ابليس شعر بالنقص لكون ابليس سبقه الى مقام العصيان العالي, و من هذا الشعور بالنقص تألم و رغب في التوبة و العودة الى ذل الجنة. فادم اختار ان ينذل لله بدل أن يشعر بالنقص في حضرة ابليس. ابليس لم يفعل شيئا ليجعله يشعر بالنقص, بل مجرد وجوده و كون ابليس سبق ادم في هذا المضمار جعله يشعر بالنقص. و نرى هذا في كل مكان, أي أن الانسان يتألم نفسيا عندما يكون في حضرة من هم أفضل منه أو سبقوه في مضماره الذي رغب فيه.

فمثال ابليس اخرج ادم من الجنة, و نفس ابليس جعل ادم يفر الى الجنة, من باب احتمال أهون الضررين أو أضعف الذلّين. فادم و حزب ادم أذلاء دوما, أذلاء لله أو أذلاء أمام المتنورين. و تذللهم لله هو وسيلتهم للتعالي على المتنورين. و لذلك ترى أهل الأديان يحتقرون الشياطين و العصاة, و يعتبرونها من المسلمات أنهم أحسن من الشياطين. و هذا مفهوم منهم, اذ هم لم يعبدوا الله الا لكي يتعالوا على الاخرين الذين لا يعبدونه أو لا يعبدونه مثلهم. و لذلك ترى كلامهم و فعلهم يجب أن يحوي تعاليا على أحد. فمسكين أنت يا الله, حتى عبادك يعبدونك لا لذاتك و لا لمنفعة دينك و لا تعظيما لشانك و انما للتعالي على الاخرين و الهروب من أنفسهم الخبيثة المكبوتة.

و لاحظ اسلوب ابليس في الدعوة "هل ادلك" لا يوجد تعنيف و لا تهديد و لا انزال للعنات و لا لشيء من ذلك. انما دعوة بينة فقط. "هل أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى" ما هي هذه الشجرة و ما هو هذا الملك الذي لا يبلى؟ لولا أن ادم كان محروما من هذين الأمرين لما رغب فيهما. فهما أمرين ينقصان ادم. و نحن نعلم أن الأمور الجسمانية كانت متوفرة له, فلا جوع و لاظمأ. فاذن ماذا يتبقى, اذا تذكرنا أننا جسم و عقل؟ أمور الجسم متوفرة

بلا انقطاع. فلا يبقى الا أمور العقل. و لذلك قال كلمة "الخلد" فهذه تعني الخلود بمعنى عدم الموت, و تعني أيضا العقل و هذا معروف في اللسان العربي اذ يقول مثلا "ماذا يدور في خلدك" أي عقلك و نفسك. و هذا هو المعنى المناسب للسياق و يدل على هذا أيضا قرينة "شجرة" اذ من احسن الأمثال على العقل هو الشجرة. من التشجر أي التفرع و الاختلاف, و أيضا أسلوب بناء العقل و الأفكار و اتصالهم بالنفس كلها تشبه الشجرة و جذورها و اصولها. و لذلك ترى في كل مكان أنهم يجعلون للعلم "أصول" و يقولون أن :هذه من مسائل "الفروع", و يقال: نريد أن نبحث عن "جذور" هذه الفكرة, و نقول: من ثمار هذا العلم أو البحث.و هكذا. فادم كان أبله مقيد العقل. و هذا مفهوم لأنه يعبد الله,و حيث توجد السلطة تتشوه المعرفة. و أما الملك الذي لا يبلى فهو المعرفة و الكتب و طاقة التفكير و الاستمتاع العقلي. فأمور الجسم تبلى, و أمور العقل حية لا تموت. الجسم ذاته يبلى و أما العلماء الكتّاب يحيون الى الابد داخل كلماتهم و افكارهم التي لا تزال تتطور مع الزمن. فاذا أردنا أن نضع دعوة ابليس العظيمة لادم في كلمات أخرى لقلنا ان ابليس قال لادم: يا مستعبد هل ترغب في أن تتنور و تتحرر؟

و لاحظ أن الله نفسه يقر أن لادم و زوجه سوءة مستورة عنهم, مكبوتة, "ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما" و هنا نرى سياسة الأديان القديمة الجديدة و هي أنهم لا يبالون بما تحوي في نفسك المهم ان توافقهم في ظاهرك. الله يقر بوجود السوء, و لكنه خبأه عنهم. حتى يظلوا في الجنة مستهلكين في عبادته. فعبادة الله قائمة على شيء مستور اذا انكشف هذا السر فان الانسان سيترك الله و يتحرر. ابليس هو كاشف السر و هاتك الستر. من الحيل النفسية التي تسجن عباد الله هو انهم يحسبون أنهم اذا عصوه أو كفروا به (عن علم طبعا فنحن لا نقبل أي شيء عن جهل) فانهم يشعرون أن الأرض تحتهم تتزلزل و أن السماء تتفطر من فوقهم و أن الله سينزل عليهم عقابا و يلعن اليوم الذي ولد فيه. و الواقع أن هذا وهم ليس الا. ادم مثله مثل باقي عبيد الله كان تحت تأثير هذا الوهم, و الذي فعله ابليس هو أنه قال لادم: اعصي و انظر كيف أن ما تخاف منه هو مجرد وهم, و هم يسجنك و هو من صنع نفسك. فلما جرب ادم و تحرر عرف أنه كان في وهم طول حياته من قبل. اكفر بالله ايها المسجون التعيس, و لا تخف, فانه ما تخاف منه هو سحر يمارسه عليك سحرة الله الخبيثين, جرب بنفسك و انظر ماذا ترى.

الشجرة و الملك هو الوعي. الوعي بالواقع و بالحياة النفسية. دين الله قائم على عدم وعي الناس. ابليس هو الوعي المحرر, الوعي المتنور. الله و رسله و ورثتهم هم أكبر منوم مغناطيسي عرفه العالم. المؤمن منوم. و الخلفاء و اولي الأمر هم المتحكمين الذي يوحون بالزور ليل نهار. و ابليس هو محلل نفساني لا يؤمن بالتنويم المغناطيسي, و لذلك يكره المؤمنين المحلل المتنور الى حد كبير سيغموند فرويد لأنه ابليس ذاك العصر. لقد رفض فرويد الدين عندما رفض أن يعالج المرضى بالتنويم المغنطيبسي, و للأسف فمثله مثل باقي المتنوربن الحقيقين فان الناس قد طمسوا ثورته و استمروا على عبادة الله بشتى صوره و مختلف اسماءه. و حتى التحليل النفسي ذاته أصبح باردا اكاديميا

جامدا جبانا بعد أن بدأه فرويد ثائرا واعيا ينطق من القلب و يغوص في القلب. انتهت ثورة فرويد و لكنها لا تزال حية, وبدأت ثورة جديدة هي ثورة ابليس, و هي الثورة الأصلية الكاملة.

ان مجرد تذوق شجرة الوعي و العقل و التنور و لو لمرة واحدة كفيل باخراج المستعبد من ظلمات الدين و النوم. "فلما ذاقا" فقط مرة واحدة, ان الدين شديد الهشاشة لمسة واحدة كفيلة بأن تدمره. رجال الدين يخافون من التنور الحقيقي كخوفهم من اقتراب شرارة النار من بحيرة الوقود التي بنوا عليها سفنهم و حملوا عليها عبيدهم أو "المؤمنين" على حد تعبيرهم. الذي يذوق من شجرة الوعي لا ينام أبدا الا في حالة واحدة و هي أن يتأذى من نقص الكبرياء الناتج من مقارنة نفسه بطريقة سخيفة مع الذين تنوروا قبله. كما حصل مع ادم. فالعلم لا يغني شيئا اذا تدخل الهوى, و الهوى هنا هو هوى أبله و ليس هوى حقيقي. لكل انسان هواه. و لكن الذي يبني هواه على مقارنات غير سليمة فانه الذي سيحيا باقي حياته في ذل اللاوعي كما فعل ادم. و العجيب ان الله "اصطفى ادم" يظهر ان كل ضعيف و ابله هو من المصطفين الأخيار عند هذا الاله.

و بعد أن "وقع الفاس في الراس" كما يقولون, خرج الله من صمته و قال "ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين" و لماذا لم تتكلم يالله من قبل أن يقع الفاس في الراس؟ و لماذا لم تخرج مثال ابليس من عقل ادم ان كنت فعلا قد اصطفيته و طهرته تطهيرا كما فعلت مع يوسف (هذا المسكين الذين اراد ان يستمتع مع العاهرة أمه فمنعته بوصاياك الخبيثة) عندما أوشك أن يقع في "الفاحشة" المزعومة؟ و بالطبع نحن لن ننتظر جوابا مرضيا لا من الله و لا من خلفاءه رضي الله عنهم و أرضاهم اذ أقصا ما سيقولونه لنا هو "لا يسأل عما يفعل و هم يسألون" كعادة الطواغيت في كل زمان و مكان اذا انحصروا في ركن لا مخرج لهم منه.

ثم انتهت القصة بهبوط ادم الى الارض مع ذريته و هنا تبدأ معركة دين الله و التنور حتى حين...

عن علم الأسماء. ما هو هذا العلم الذي "فضل" الله به ادم على الملائكة و الجن و الناس أجمعين؟ يوجد ثلاث نظريات تفسر هذا الأمر: الأسماء بمعنى أسماء الله الحسنى, و بمعنى أسماء الأنبياء المصطفين, و بمعنى الاسم أي اسماء الأشياء الموجودة في العوالم. و اذا لم نرغب في التأويل و التحوير و اذا لم نرغب في اسقاط مفاهيم مذهبية على كلمة "و علم ءادم الأسماء" فان أسلم مفهوم هو أن نأخذ بالنظرية الأخيرة و هو أن الاسماء المقصودة هي المأخوذة من اللغة أي الفرق بين الاسم و الفعل و الحرف, أو الفرق بين اسم الشيء و جوهره. و لكن حتى النظريتين

الاخرتين تقومان على قرائن و تعليلات جيدة. فبما أننا نحلل و ننظر في كل الاحتمالات فلا بأس بأخذ الكل بعين الاعتبار.

أولا الأسماء الحسنى. فالتفضيل هنا يكون معناه أن الله أعطى ءادم علم كل الأسماء و بالتالي و بمفهوم المخالفة يكون قد علم باقي المخلوقات بعض الأسماء فقط. و يكون ءادم قد جعل خليفة لأنه يعلم كل أسماء الله الحسنى. ان الأسماء الحسنى هذه هي مجرد صفات. و كلها تنطبق على الانسان بدرجة او بأخرى. فكون الذي يعلم و يتخلق بأسماء أكثر يكون أفضل. هذا لا غبار عليه. و المأخذ هو من ناحيتين: كون الله قد اختص ادم من دون البقية بهذا العلم, و كون العلم بمجرد الأسماء لا يقدم و لا يؤخر فكم من روحاني يذكر كل يوم ألف ورد و لا يقدم و لا يؤخر بل لعله عالة على الناس. و المأخذ الأكبر على هذه النظرية هو أن القرءان قد جعل الأسماء أشياء "ثم عرضهم" و الضمير في "عرضهم" يدل على أنهم أشياء و ليسوا أمور مجردة. و هذا يأخذنا الى النظرية الثانية.

الأسماء هم أسماء الأنبياء. من دراستي الأولى لكتاب ادم استنبط هذه النظرية, و هذه دراستي الثالثة بالمناسبة, و قد وصل بي التحليل و العقل أن الأسماء هم "نوح و ءال ابرهيم و ءال عمرن" و هؤلاء أمثال على الحقائق و الوصايا و أسرار العوالم. فيكون المعنى أن الله اصطفى ءادم لأنه يعلم أسرار و تفاصيل عوالم الخلق كلها, و الأعلم بالتفاصيل أحق بالحكم. و المأخذ على هذه النظرية و هي الأقوى و الأسلم, هو أيضا الاختصاص بلا مبرر, اللهم الا اذا ثبت أن باقي الملائكة تكاسلوا أو لم يرغبوا أصلا في معرفة هذا العلم, و رضوا هم طوعا أن يحكمهم ادم, و هذا نراه يوميا في كل أنحاء العالم, أي عندما يرضى الأكثرية من الناس بأن يبقوا في الجهل بخصوص أمر ما مقابل التسليم لشخص يبذل جهدا في تعلم هذا الأمر و أن يكفيهم مؤونة تعلمه بذاتهم, و هذا من قواعد قيام المجتمعات أي تقسيم الاعمال. اذا صحت هذه النظرية فان اصطفاء ادم يكون قائم فعلا على حكمة. و لكن يظهر أن هذا لا يعدو أن يكون تبرير حاذق منا لعمل الله, و هو تبرير لم يذكره الله و لا في موضع من مجادلته لابليس. فنحن ندافع عن الله بما لم يدافع به هو عن نفسه. و هذا يدل على أننا خلقنا الله و لذلك نعمل على ترقيع خروقه و تزيين صورته. ان الله يفترض أنه غني عن دفاعاتنا, بل هو الذي يدافع عنا. ولذلك ليس من العدل و لا من العلم في شيء أن نبرر لأحد فعله بما لم يبرر به هو لنفسه.

فتبقى النظرية الأخيرة و هي تعليمه ظاهر اسماء الأشياء. و بالمخالفة لم يعلمه جوهر الأشياء, فكما يقال عن الجاهل أنه" لم يتقن من الموضوع الا اسمه" و هذا أحسن ما يسير بتناسق مع بقية القصة و واقع عبيد الله. فهؤلاء لا حظ لهم من جواهر الأشياء و يكتفون من كل شيء بظاهره السطحي و اسمه. و هذا مشاهد. و هل يوجد عمل

أشنع عند أهل الأديان من "التعمق" أو "كثرة السؤال" أو التشكيك و البحث؟ و مثلا اذا قيل لهم "أقيموا الصلوة" فأقصا ما يطلبه أكثرهم هو أن يعرفوا كم ركعة و كيف يخشع. و لا يبحث عن جذور المفهوم و جوهره. و يعتبرون هذا من التكلف الذي أغنانا الله عنه بل هو من أبواب الدخول في "الالحاد" , و الى يومي هذا لم أسمع يوما رجلا أو امرأة كبيرة في السن, و أحيانا حتى الشباب, الا و هم يلوموننا على التعمق, و يحثوننا على الاكتفاء "بالأسماء"! هذه النظرية هي النظرية الأكمل من النواحي الثلاثة: الاتساق مع باقي القصة القرءانية, الأخذ بكلمات القرءان بدون لف و دوران خاصة و أنه لا داعي لافتراض حصول التحوير و التعتيم على النص اذ الكلام هو عن ادم و هو من حزب الله, و التطابق مع واقع الحياة النفسية و الاجتماعية لعبيد الله.

فادم صاحب علم الظاهر و ابليس أمير علم الباطن. ابليس يحرق الظواهر حتى يصل الى الجوهر الذهبي للأمور. وهنا نأتي الى مسألة أيهما أفضل: الطين أم النار؟ قلنا أن كلاهما حسن من ناحية التكامل في الخلق. و لكن بما أن الله قد أوقد نار الحرب و المنافسة فلنتأمل في الأمر.

يحسب بعض دارسي القرءان أن الطين أحسن من النار, و يعللون ذلك بأن الطين سبب البناء و أما النار فتحرق و تدمر. و بالطبع فان هذه الحجة الواهية انما صدرت عن تحيز مسبق لجانب ادم و كره لابليس و افتراض السوء الخسران فيه, و لذلك جاءت حجة لا تقيم للعلم و الواقع وزنا. أما كون الطين هو سبب البناء فهذا على فرض صحته فهو ليس على اطلاقه, ثم ان هذا قد يصح في الأزمان الغابرة و البيوت المعدمة. أما اليوم فان الطين قد استبدل بمواد أعظم منه. فالحديد أحسن من الطين. ثم ان النار هي السبب الأعظم للبناء الى يومنا هذا, فان استعمالها هو الذي يساهم في صنع الالات و تحديد الحديد و تشكيله وغير ذلك. و أما عن تدمير النار, فان النار أيضا تدفئ و تشوي و تسخن الطعام و الشراب و تعقم الأشياء و هذا غير رمزيتها العظيمة. فلماذا هذه النظرة الضيقة السلبية؟ التحيز الذي ذكرناه هو السبب بداهة. ثم ان النار تحرق لتتصل الى المعدن الجوهري, و تفحص الذهب و تعرف درجة صفاءه و حتى القرءان يقر ذلك للنار في اية المنفعة العظيمة في سورة الرعد, و هو أمر معروف.

و اذا اعتبرنا الطين و النار كرموز لخصائص عقلية, فأيهما أنفع؟ النار بالطبع. لأن النار عقليا ترمز الى التجريب و البحث عن الجوهر و قياس درجة القوة في الفكرة و الصعود من الأدنى الى الأعلى. و أما الطين فيرمز الى البناء المهترئ الذي يرغب صاحبه في السكن فيه و حسب بدون أي مراعاة لجواهر الأمور, و كما هو معروف في البناء بالطين فان الهواء هو من أكبر اسباب تثبيت البناء. وهذا "الهوى" هو من الناحية العرفانية يعتبر من أسوأ الصفات التي يمكن أن يتلوث بها العقل.

و لا ننسى أن النار هي رمز من أعظم ان لم يكن أعظم الرموز في مختلف المجالات سواء القرءانية أو الشعرية أو العرفانية أو العشقية. و من شدة قوة رمز النار جعلت رمز لوجه النفس المتعالية و كانت تتخذ و مازالت كقبلة للعارفين. ابرهيم دخل في النار, موسى اهتدى بالنار, بدأت الحضارة الانسانية باكتشاف النار و غير ذلك كثير لمن تتبعه و سعى في تأويله.

فمن أي زاوية نظرت سترى أن النار حقا خير من الطين. و هذا ليس بدعا من القول فان الله نفسه لم يجد سبيل الى تفنيد قول ابليس كما رأينا سابقا الا بأن يستدل باجماع الملائكة و أنه الخالق لادم و أنه الآمر الذي لا معقب لحكمه. فان كان الله نفسه لم يجد سبيلا الى اثبات أفضلية الطين على النار, فما أقل أدب عبد الله الذي يسعى الى أن يثبت ذلك!

و يقال انه من المآخذ العرفانية على ابليس هي أنه لا يؤمن بالروح. فالله قال "فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" فيوجد شرطين للسجود: التسوية و نفخ الروح. و أما ابليس فلم يلتفت الى وجود الروح في ءادم بل كان تعليقه دوما على التسوية الظاهرية و أن ظاهر ءادم من طين أما ظاهره هو من نار (هذا على فرض أن الطين و النار أمور جسمانية ظاهرية). فما مقدار قوة هذا القول؟

على فرض أن الروح هي العلم الالهي أي علم الأسماء فقد فرغنا من هذا سابقا, وعلى فرض أنها مجرد سبب للحياة, بمعنى أن الطين جسم ميت حتى تدب فيه الروح (و هو الاعتقاد القديم و الذي هو بحد ذاته عرضة لانتقادات كثيرة, فلمسألة وجود شيء اسمه الروح بهذا المعنى هو ليس أمر بسيط و مسلم و لكننا لا نريد أن نخوض في هذا هنا) فان الروح ليست شيئا حكرا على ءادم بل يكون كل مخلوق فيه من روح الله أي الحياة. و بذلك لا فضل لادم على ابليس بالروح. مشكلة هذه القصة بصورة عامة هي أنها تصور الله و كانه هو الذي يتخذ كل القرارات بدون أي اعتبار للمخلوقات. فلا نرى فكرة الاستعداد النفسي و الرغبة كأمر ظاهر بل اننا نستنبطه استنباطا بعلمنا المسبق بالأمور النفسية. و أما اذا اكتفينا بظاهر نص القرءان فلا محل لأي شيء من هذا, بل يكون الوجود أشبه بقصر هارون الرشيد المتلذذ بدين الله- قدس سره الشريف. نحن نخلق القرءان بعقولنا النارية, و أما القرءان فسطحي في أكثر أحيانه و يجب أن نقسره قسرا على أن يخرج لنا مكنون علمه. علينا أن نجادل و نفترض و نبحث عن القرائن كثيرا حتى نهتك الاستار و نصل الى معدن الأنوار. و هذا أمر جيد بحد ذاته, فهو تمرين رياضي رائع للعقل, و هذا من أكبر أسباب حبي و تعلقي بالقرءان و تفضيلي اياه على سائر الكتب. و لذلك لا يهمني لو جاء هذا القرءان من خالق السماء او من بدوي في الصحراء, القرءان هو القرءان و هو أعظم كتاب في هذا

العالم بلا منازع على أي درجة من الدرجات بشرط أن يكون الدارس ذو عقل ناري واسع الاطلاع عميق النظر. فعظمة القرءان مرهونة بعظمة قارءه. و لذلك اذا قرأه ظالم زاده خسارا و اذا قرأه عالم زاده هدى. فالقرءان لا شيء بحد ذاته, و انما يحي القرءان بغوص المستنير فيه. القرءان يكره الأنبياء و يفضل ابليس, ابليس يقدر القرءان حق قدره, و قد رأينا ماذا فعل عباد الله بالقرءان بعد اذ جاءهم, هجروه و اتخذوا بدلا منه كتب أخرى و احاديث أخرى و أحكام أخرى, و جعلوا القرءان كتاب للغناء و النياحة على الأموات- لا بارك الله فيهم.

ابليس لم يلتفت الى روح ادم لانه هو نفسه كان يملك روحا أكبر من ادم. و عظمة روح ابليس رفعته من الأرض بعد أن كان مع الجن الى السماء ليكون من الملائكة. و هذا بحد ذاته يثبت أن ابليس أعظم من الملائكة فالذي يرتفع الى السماء بجهده ليس كالذي يولد فيها بلا أي حيلة منه. و بدل أن يختار الله ابليس لخلافته (هذا اذا كان يريد السلام, و هذا اذا كان ابليس سيقبل أصلا) فانه اختار ادم و هو جديد و بدائي و سخيف و مغفل غير متطور بعد. و هنا نرى اسلوب فرعون للمرة السبعين و هو اختيار غير الاكفاء للمناصب المهمة لا لشيء الا لقرابة معينة أو اختيار مبني على الهوى الشخصي الذي لا مبرر له الا "لا يسأل عما يفعل". ابليس أحسن من الملائكة لانه عانى من الحياة من أخر دركات الارض صعودا الى أعلى درجات السماء, و هو أحسن من ادم الذي لم يرى الحياة و يقاسيها فعلا بعد و في أحسن الأحوال فان علمه بالحياة و العوالم هو علم نظري فقط "و علم ءادم الأسماء" , و أما ابليس فعلم نظري و واقعي, تجربة جبارة, ارادة قوية, عزة نفس و ترفع عن الأرضيات الدنيوية, عقل ثاقب, و رغبة عميقة. الله ظلم ابليس بتغافله عنه. و ظلم كل الناس و المخلوقات بجعله ادم هذا البدائي المفسد و السفاك خليفة بدل ابليس. ما أعظم الحياة لو حكم فيها رجل مثل ابليس! هذا على فرض أنه سيرضى بأن يكون هو فرعون أصلا, و هذا لا يقع من راقي مثله.

ان ابليس هو أول مستنير و مجرب لكل العوالم, و هو أول ثائر على كل المستويات القولية و الفعلية, و هو أول مظلوم انسلب حقه بسبب هوى الطواغيت, و هو أول متوحد معتزل للمنافقين و المكبوتين الخائفين, و هو أول من قاتل الله في مملكته, و هو أول رسول للحرية و الكرامة الانسانية, و أول راغب في تناغم الوجود. ما أعظمك يا ابليس و ما أكبر دعوتك! فهل من مستجيب؟

....

(مقارنة بين علاقة ابليس و ادم بالله)

ان أي مقارنة يجب أن تتخذ زاوية معينة للنظر, و كلما ازدادت الزوايا كلما كانت الصورة أوضح و العلم أعمق. و لذلك سننظر من زوايا متعددة لنرى جوهر و صور العلاقة بين ابليس و ربه, و ادم و ربه. ثم بعد ذلك نرى أين سيقودنا البحث.

من زاوية الايمان. نلاحظ أن ابليس يؤمن بالله, فابليس ليس ملحدا, و بالتالي لا يجوز نسبة الملحدين الى ابليس أو الزعم ان الذي يبعد الناس عن الاعتقاد في الله أنه يقوم بعمل "ابليسي". الملحد غبي, يريد أمرا و لا يعرف الطريق اليه, و عدم معرفته نابعة من أن الحاده نابع على الأغلب من ردة فعل, فهو موقف انفعالي و ليس العلم و النقد الا وسيلة ثانوية يتخذها ليتعامل مع انفعاله. نعم, قد يكون للملحد حجج فكرية قوية جدا لا يمكن ردها و لكن مع ذلك فهذا لا يبرر الالحاد دائما لكل شخص, و للالحاد حجج قوية فعلا ينبغي أن يتأملها كل باحث. على أية حال فابليس ليس ملحدا, و لكنه ثائرا, هو يقر بالله و لكنه يثور عليه, يقر بالسلطة وجودا و لكنه يرفضها حكما و سلوكا. فمن ذا الذي ينكر وجود أمور في هذه الحياة تتسلط على حياة الناس و لو لم يرضوا بها؟ الطبيعة تحكم الانسان, و الفرق الوحيد بين حكم الطبيعة الافاقية و النفسية وبين حكم الاديان و الطغيان هو أن حكم الطبيعة هو من أصل الحياة و النفس, و ليس طارئا من الخارج. فلا يستطيع الانسان أن يثور على كونه يحتاج أن يشرب لكي يسد عطشه, و لا يمكنه أن ينكر هذا الحكم الطبيعي, و أقصا ما في استطاعته لو أنه كره هذا الحكم هو ان يتعلم و يكتشف وسيلة لمنع العطش من أن يجد سبيله الى جسمه. و كذلك مثلا حكم الجاذبية, لا يمكن انكاره و لكن يمكن أن نثور عليه و هذا ما حدث فعلا و بذلك اخترع الناس الطائرة. فيوجد فرق بين انكار الله, و هو أمر مستحيل في حد ذاته, و بين الثورة على الله, و هو أمر ممكن بل محبذ. و ابليس من هذا النوع الثاني. و بالطبع فان كلامنا عن الله ليس كشخصية دينية كما تصوره الأديان, فهذا يمكن انكاره بسهولة, بل يكون من السفاهة أن يصدق به أحد فعلا اذ ما هو الا من اختراع الناس و اسقاطاتهم النفسية و الغريزية. و انما نقصد بالله الاحكام الطبيعية و النفسية, أي الوجود بحد ذاته.

فابليس يقر بأن الله خلقه, و يقر بقوة الله و لذلك استمد منه القوة ليعمل عمله, و يقر بأنه لا يمكن لشيء أن يتم الا باذن الله(أي بحسب ما يقتضيه الوجود و أحكامه, و هذا بديهي على مستوى العالم المتنور, فليس الا المغفلين يريدون أن يحلوا مشاكل العالم عن طريق "الدعاء" و التمتمات و ما شابه), و يسمع لكلام الله و لكنه يجادله و لا يعمل الا بما يقتنع به. فايمان ابليس مبني على الفردية و القوة النفسية و العقل. وهنا يفترق عن ادم.

نلاحظ جوهر علاقة ادم بالله في هذه الايات, "خليفة" , "علم ءادم الأسماء", "فتلقى ءادم من ربه كلمات فتاب عليه". فالعلاقة بينه من بين ربه أنانية متواكلة طفولية, و مبنية على الخوف و القلق, و هدفها التكبر على الاخرين. فلما وعد الله ادم بأن يجعله "خليفة" له, فهذا كبرياء عظيم أي أن يكون هو مظهر الله و ظله على الأرض, كمثل سلاطين الطغيان (و بالمناسبة كل الحكومات ينطبق عليها كلامنا هنا, كل الحكومات و لو كانت لا تعرف عن هذا القرءان شيئا) . و عندما طرد من الجنة و هبط و رأى ذله بالمقارنة مع ابليس, فانه فر الى ربه و تاب, و لم تكن توبته الا عن خوف و شعور بالنقص و ذل و استكبار. و هكذا الحال مع الله أصلا, فانما يقول "ففروا الى الله" فالمسألة فرار و ليست ذهاب عن فهم و حب. الله يسكن في مستنقع من الخوف و الجهل و القلق. حيث تجد السلبية و التواكلية و العقد النفسية تجد الله كستار أو كملجأ للفرار من مواجهة الواقع. و نلاحظ قبول ادم المطلق لكل ما يقوله الله في أن الاية تقول "و علم ءادم الأسماء" و لم يقل "و تعلم ءادم الأسماء" أو " و عرض على ءادم علم الأسماء" و ماشابه من الصيغ المحترمة و المقدرة لكرامة النفس. فالله يرغب في مسلمين و مستسلمين و لا يعجبه الفاهمين و الثائرين (شأنه شأن الطغاة من البشر الذين هم أصله و مادته) . و كذلك نرى أن ادم يتعلق بالله لكونه يوفر له الزوجة و المعيشة, أي ان الله يعتمد في وجوده في نفوس الناس على الضرورة و الحاجة الجسمانية. و أما الثائر فلا يبالي بزوجة مغفلة أو معيشة مذلة. و قد انعكس خلق الثوار هذا في محمد لاحقا عندما عرض على زوجاته البقاء معه ان عقلوا و مفارقته ان اتبعوا شهوات الدنيا (بالرغم من أن خلق محمد الطغياني لا زال ظاهرا في كونه يرغب في طاعة زوجاته له و أن يقنتن لله و لرسوله, لاحظ الربط المستمر بين الله و رسوله و كأنهما شيئ واحد, بل بلغ الربط أعلى مستوياته في قول الكتاب "من يطع الرسول فقد أطاع الله" و هذا من أدلة أن الرسول هو الذي خلق الله و ليس العكس) .

ابليس مبني على العلم, ادم مبني على الخوف. و الخوف يمسخ العقل. و مع مسخ العقل تنمسخ الحياة. و الله رأس الخوف. ثم فرعون, ثم الأب, ثم الضعف, ثم الطفولة. ابليس تحرر من عقده النفسية التي نشأت فيه بحكم مروره الضروري بطور الطفولة, التي يكون فيها الانسان ضعيفا, و بالتالي معجبا بالأب الذي يحميه و يطعمه, و بالتالي معجبا بفرعون الذي يمثل الأب و بكن بصورة أقوى, ثم لاحقا عندما يبدأ الانسان في طور القوة و ذلك يسمح لمشاعر كراهية الأب المكبوتة بأن تظهر فعندها يثور على الأباء الارضيين و يسعى الى قتلهم عن طريق خلق أب سماوي خفي, و أكثر الناس تتوقف في تطورها هنا, فهم يريدون قتل الأباء الا أب واحد, و هنا يبرز ابليس المكمل لسلسلة التطور الانساني عن طريق قتل هذا الاب الأخير أي الله. و هنا و هنا فقط يصبح الانسان ملكا بنفسه. و يتحرر من الخضوع الى أي سلطة, بل باختياره و عن عقله الحر من العقد النفسية, العقل المراعي لشؤون الواقع و أحكامه التي لا يمكن الا الاقرار بها, مع وجود احتمال فعلي لتغييرها لصالح الموجودات.ابليس هو الطور

الأعلى للوجود. و هنا جاء القرءان ليوهم اتباعه بأن الله هو المثل الأعلى. كيف يكون الله هو المثل الأعلى للناس و انما الله من ابتكار الناس؟! أتعبدون ما تنحتون!

لكون ابليس مثل الطور الأعلى الحق فان الأديان تكرهه. اذ مصاصي الدماء و سافكيها (أي رجال السلطة الاقتصادية و السياسية و الدينية , أو "قارون و فرعون و هامان") هؤلاء يعيشون من على جهل الناس و ضعفهم النفسي و تفرقهم الاجتماعي. اذا كان فرعون هو عدو الانسانية الاجتماعي, فان موسى هو عدو الانسانية النفسي. كلاهما يجب أن يقتل, اذ فرعون خلق الطغيان الافاقي, و موسى خلق الطغيان النفسي. و لهذا يقتل المستنيرون الأنبياء, لأن الأنبياء يسعون الى قتل نفوس و كرامة الناس, هم يزعمون انهم رسل الله و لكنهم في الواقع رسل رغباتهم و عقدهم النفسية الشخصية, و لذلك في نهاية التحليل ترى أن كل دعوة الأنبياء الروحانية بزعمهم تنتهي الى سلطة فرعونية هامانية قارونية, و أحيانا كثيرة تكون أسوأ من سلطة فرعون الأصلي. و انظر الى المجتمعات التي حكمتها و تحكمها الأديان لترى مقدار الروحانية المزعوم هذا. انظر الى سليمان مثلا. بعد أن استقر له الأمر ماذا فعل؟ راح ليدمر البلدان و يخرج أهلها منها "أذلة و هم صاغرون" , هل هجموا عليه؟ لا. هل تعرضوا له بأي سوء و لو باللفظ؟ لا. بل انها عاملته أحسن معاملة و سعت الى كسب وده عن طريق الهدية و السلام. و لكن تستطيع أن ترى مقدار وحشيته البدائية في رسالته المبدئية التي بعثها لهم "الا تعلوا على الله و اتوني مسلمين" لا يوجد أبين و أفصح عن جوهر الأنبياء و أديانهم من هذه الرسالة الفذة. "ألا تعلوا على الله" هذه هي روحانيتهم و لكن هل هذا يكفي؟ أليسوا يدعون الناس الى عبادة الله و أن يرجوا الدار الاخرة, حسنا عدم العلو على الله و الخضوع له كاف لذلك. و لكن هذا لا يكفي بالنسبة للأديان, و لكنهم يريدون الشق الاخر من رسالة سليمان العظيم , "و اتوني مسلمين" هذا هو ما يريدونه, أن تخضعوا لربهم ثم لهم. لا اله الا الله لا تكفي وحدها, و لكن يجب أن تخضع لمحمد رسول الله بعدها. هم لا يريدون مسلمين لله, هم يريدون خاضعين لله و مسلمين لهم هم. و الله هو وسيلتهم لهذا الاسلام. ففرعون يتسلط على الناس من أجسامهم الى نفوسهم, و الأنبياء اكتشفوا ضعف هذا الاسلوب, و لذلك قاموا بقلب المعادلة ليكون التسلط من نفوس الناس الى أجسامهم. و ليستطيعوا من تحقيق هذه المعادلة احتاجوا الى ابتكار الله و دينه. و الناس معقدة نفسيا بطبيعتها و لذلك تؤمن بالله ليكون ستارا و كابتا معززا لعقدها النفسية. و قد حرّف القرءان العربي حقيقة مهمة جدا في قوله "الا من أتى الله بقلب سليم" اذ المفترض أن تكون هكذا "لا يمكن أن يأتي الله أحد بقلب سليم" اذ ذو القلب السليم يستمر في التطور و يتجاوز العقبات و يفك رقبته من كل طور ليرتقي الى الطور الأعلى. و أما ذو القلب المريض فهو الذي يسعى الى الله و يطمئن قلبه عنده.

من وسائل ابعاد جنود هامان (رجال الدين) الناس عن الطور الأعلى لهم هو رسم ابليس بصورة سيئة. يقال أن رجلا رأى في المنام ابليس فرآه كأجمل ما يمكن تصوره, هيئته بارعة الجمال, فقال له "أأنت ابليس! كيف تكون بهذا الجمال و قد رسمك أهل الدين و الفن بصور شديدة القبح؟" فقال له ابليس "و ماذا أفعل و فرشاة الرسم في يد عدوي!" ان القرءان لم يذكر أي شيء عن هيئة ابليس و هل هو جميل أم قبيح. و لكنه, و هذا بديهي, يصور هيئة ابليس النفسية على أنها قبيحة. و لكن من الناحية الظاهرية نستطيع أن نستنبط فعلا أنه جميل. فالقرءان يجعل المنافق الذي هو في الدرك الأسفل من النار على أنه من الذين "اذا رأيتهم تعجبك أجسامهم" و لاحظ هنا أن الاية متناقضة بل كاشفة عن أمر شديد الاهمية. و هو أن الاية تبين أن في تصور النبي للكمال يوجد حب جمال الاجسام, "تعجبك", و لكنه مع ذلك يجعل جمال الجسم و الاهتمام به من شؤون المنافقين و مربوط بهم. و هنا يظهر لنا لماذا يفضل رجال الدين أن لا يبالي الناس بشؤون أجسامهم, و ذلك بسبب الغيرة. فهم يكرهون تفوق أحد عليهم, و هل هم الا ابناء ادم المتكبر(بغير حق) الأول! و من السخافة أن أهل الدين عامة لا يؤمنون بأن شخصيات القرءان أمثال, و لكنهم يؤمنون بانها حقيقية جسمانية و تاريخية. و هذا عجيب اذ أنهم أيضا يؤمنون بأن ابليس كائن روحاني خفي, فكيف يصورونه بمعايير بشرية جسمانية؟! و أمثال هذه الرقاعة في التفكير هي شيء ملازم لاهل الأديان اذ لا يخشى من الرقاعة الفكرية الا الذي يعرض افكاره على عقلاء, أما الذي يعرضها على بهائم بني ادم فلا حرج عليه أن يكون أعمى أو أعرج أو مريض! لا تنتظر التناسق الفكري من رجال الدين و السياسة, اذ لو كانوا هم أنفسهم يبالون بذلك لما كانوا رجال دين أصلا.

ابليس هو نكهة القرءان. لولاه لكان الكتاب جافا و سخيفا الى حد كبير. بل ان الجزء الاكبر من القرءان يتحدث عن ابليس بوجه أو باخر, مباشرة أو غير مباشرة. و كذلك كل كتاب يحوي قصة الشيطان الخارج عن تعاليم الكتاب في الواقع هو من جنود ابليس. و هكذا نرى التنوير ينتصر, حتى أعداء التنوير ينصرونه كرها. اذ انما يعتمدون على تخويف الناس, و لذلك يحتاجوا الى أن يخلقوا مثال الخارج على تعاليمهم و كيف ال امره الى العذاب, و هذا هو الشيطان. و هذا عين مناصرة الشيطان, اذ ان رؤية الخارج عن المنهج يخلق مثال له في العقل فورا, مثل ما حدث لادم في مشهد السجود و العصيان. فمجرد رواية قصة الشيطان يعني انتصار للشيطان الى حد ما. و حيث ان الدين لا يحتمل عدم وجود شيطان, فالدين من جنود الشيطان كرها. و هكذا نرى قوته الحقيقية. فالتنوير لا يمكن رده أبدا. و من هنا قال احد السفهاء "اميتوا الباطل باماتة ذكره" لانه يعلم ان ذكر الباطل -في اعتقاده- هو نصر له. و بالرغم من ان هذا السفيه يزعم انه من ائمة القرءان, القرءان الذي لم يعمل بنصيحته التافهة هذه- فانه لم يلتزم بما في القرءان الذي ذكر الباطل كثيرا و فصله و اسهب في شرحه.

و لنلاحظ قول القرءان "انما يخشى الله من عباده العلماء" هذه الكلمة التي لم يبقى أحد من رجال الدين و الأحزاب الا و حرفها عمدا بعد أن عقلها. و هم لا يستخفون حينما يعقلون هذه الاية, بل يذكرون عقلهم ثم يعلقون عليه بأنه

"مستحيل" ثم يوردون التحريف و يؤيدونه بحجة رقيعة من الحجج التي عودونا عليها. أما الكلمة فهي حسنة التركيب بذاتها, و تدل على أن الله هو الذي يخشى العلماء. و لكن الاحزاب يرون هذا مستحيلا, اذ من "غير المعقول" أن يكون الله العظيم يخشى أحدا من عباده اذ هو الغني و هم الفقراء اليه. و حجتهم المعززة لرأيهم هذا هي ان كلمة "الله" منصوبة و كلمة "العلماء" مرفوعة, و لكن حصل تقديم و تأخير (و هذا لا تعليل له, بل أحسب أنهم يرونه نوع من البلاغة هذا اذا التفتوا الى التعليل أصلا), فتصبح الكلمة تعني أن: العلماء وحدهم هم الذين يخشون الله. نص الاية ان الله هو الذي يخشى العلماء, و لكن عبيد الله الملاعين جعلوها تعني ان العلماء هم الذين يخشون الله! قلبوا الاية راسا على عقب- هؤلاء الذين يزعمون انهم يحبون القرءان و يلتزمون مضمونه مهما كلف الامر, فتامل. فلنجادل هذا الرأي لنرى مقدار قوته الفعلية.

أولا, ان تركيب الجملة يدل بنفسه على أن الله هو الذي يخشى العلماء. و أصل القرءان هو أنه غير مشكل كما هو معلوم للكل, و بسبب هذا يوجد ما يسمى بالقراءات, و هي احتمالات في النص القرءاني, و لكل احتمال أمور تدل عليه أو أمور تؤخذ ضده, و هذا بحد ذاته من عظمة النص القرءاني (و ليتهم أبقوه هكذا, أو على الأقل أبقوا على نسخ من القرءان مجردة عن التشاكيل و التنقيط المبتدع) . و بحسب اللسان العربي الفصيح, خاصة في الكتابة, فان العادة هي أن نقدم الفاعل و نؤخر المفعول به,و بذلك نستغني عن غموض المعنى بلا حاحة الى هذا الغموض و التضليل. فمثلا, جملة "ضرب خالد الاستاذ" المعنى المفترض الفصيح هو أن خالد هو فاعل الضرب, و أن الاستاذ هو المضروب. و لكن الغموض الذي لا داعي له قد يجعل الكاتب يقول: لا, انما أقصد أن الاستاذ هو الضارب و خالد هو المضروب, و القراءة الصحيحة هي أن الاستاذ مرفوعة و خالد منصوبة. نعم, من الناحية اللسانية اذا وجد التشكيل فان الاحتمال صحيح. و لكن اذا كان رجل يكتب بدون تشكيل فان الاصل هو أن يقدم الفاعل و يؤخر المفعول به. و هذا دليلنا الأول و الأكبر على أن تركيب الجملة كما هو في القرءان يدل بذاته فورا على المعنى المراد و هو أن الله هو الذي يخشى العلماء, و هذا المعنى هو الذي يتبادر فورا و تبادر فعلا الى كل مفسر,بل ان هذه الاية جرت مجرى الامثال في العالم الاسلامي و يستعملونها و يستعملون الحيلة التي ابتكرها رجال الاحزاب في مواضع شتى لا احسبها تخفى على أهل الثقافة الاسلامية و المطلعين على شؤونها.

ثانيا, ان القران لو أراد أن يوصل لنا أن العلماء هم الذين يخشون الله لقال: انما يخشى العلماء من الله. و نحن نعرف من ايات اخرى أن "ان كل من في السموت و الارض الا اتي الرحمن عبدا" . فمعروف في رؤية القرءان أنه يرى أن كل الناس بل كل المخلوقات عبيد لله و عباده. فلو أراد أن يوصل هذا المعنى لما اضطر أن يرتكب هذا الغموض الذي لا داعي له و لا فائدة فعلية فيه. و لقال: انما يخشى العلماء من الله, أو انما يخشى العباد العلماء من الله, و غير ذلك من احتمالات كلها توصل المعنى بطريق أقصر و أفصح.

ثالثا, حسب رأي الاحزاب في الاية, أي المعنى الذي يدعون أنه المقصود و هو "انما يخشى العلماء من الله", فان "انما" كما هو معروف هي أداة حصر. فبمفهوم المخالفة, يكون غير العلماء لا يخشون الله. و هذا مخالف للواقع. فان عامة الناس, و "العجائز" الجهلة, يخشون الله أكثر بكثير من العلماء. بل الواقع هو أنه كلما ازداد علم الانسان, كلما قلت خشيته من الله. اذ ان العالم بالدين يستطيع, بكل اخلاص, أن يجعل أي رأي يريده هو, و لو لا شعوريا, هو رأي الدين. و اذا نظرنا في نوعية المتدينين على مر العصور و بمختلف الاديان, فان العلماء هم الذين يعبّدون الناس و ينظّرون للطغيان. و بالطبع قد يعارض البعض هذا الرأي عن طريق تفسيره لمعنى العلم. فان العلم المقصود اختلف فيه, و كل رجال علم يدعون أن علمهم هو العلم "الحقيقي" الذي يؤدي الى خشية الله. و أحسن هذه الاراء هو الذي يجعل العلم الحقيقي هو العلم العرفاني و الصوفي ان شئت, و لكن الواقع أن العرفان ما هو الا الحاد بالنسبة للنظرة الدينية الكتابية. فهؤلاء يحيلون ربهم الى عدم أو كشيء عائم غير عاقل مثل البحر أو الهواء أو الظلام. و نظرة الكتب الدينية, و التي يدعي العارفون أنهم من اتباعها, هذه الكتب تظهر الرب على أنه فاعل يشبه البشر, يغضب و يغار و يضحك, و هو فوق ذلك ليس كما يحب ان يتخيل رجال الاديان بدون أي سبب حقيقي متناسق مع دينهم, فان الرب ليس مطلق الذات, بل هو "فوق" و "في السماء" و لذلك نراه "ينزل" الكتب. اني اعلم تأويلاتهم, و بالأحرى تحريفاتهم لهذه الكلمات, و كل ارائهم لا تسمن و لا تغني من جوع. على أية حال, فان العلم ليس بالضرورة سبب الخشية من الله, بل ان العلم كلما زاد انما يؤدي الى الالحاد الكلي أو الالحاد الجبان (أي التصوف و العرفان و الروحانية) أو الى تحريف الدين بعلم و منطق. ان الخشية لا تكون الا من المجهول في الغالب. و عوام المؤمنين يخشون من الله أكثر بكثير من رجال الدين و عبيد السلاطين و عبيد بطونهم. و الحكم للأكثرية.

و رابعا, ان العالم كلما ازداد علمه ازدادت طمأنينته كما يقول القرءان فأين محل الخشية اذا ؟ّ!

فاذا عرفنا ذلك, و نظرنا الى قول القرءان "انما يخشى الله من عباده العلماء" سنرى أن الله واقعا انما يخشى من عباده العلماء. و ذلك لسبب بسيط و هو أن الجهال لا يهددون دين الله و حكومته. الجهال بهائم تساق الى حيث يشاء الله بدون أي نقد و اعتراض. فلماذا يخشى منهم؟ أما العلماء فهؤلاء أعدى أعداء الله اذ هم الذين يستطيعون كشف أكاذيب دينه و دجل رسله و يملكون وضع المناهج الراقية لمنافسة منهجه هو, كما فعل ابليس. و لاحظ سبب خشية الله من العلماء – أي ابليس في نظرنا– في أن مجرد وجود ابليس يؤدي الى ابتعاد الناس عن الله, كما حصل مع ءادم. ان النفس جوهرها الكبرياء, و الذي يريها طريق تحقيق كبرياءها أفضل عندها من الذي يريدها ان تتذلل. الله يريد أن يذلك و ابليس يريد أن تعيش بتناغم مع جوهر ذاتك و بالتالي مع بقية الكائنات. ان الله ليس نور, و الله لا ينكشف, تسمعون أحيانا أن فلانا من العارفين يزعم أن الله انكشف له. و هذا وهم محض,

لأن الله لا ينكشف, الله هو الحجاب. و الله لا يحرر, الله هو الطغيان. حيثما توجد السلطة و العقاب يوجد أيضا الخوف و النفاق. و الله أعظم سلطة و هو شديد العقاب الذي سيدخلك جهنم خالدا فيها اذا رأيت أنه يوجد اله اخر, أي بسبب الغيرة (و التي بحد ذاتها تدل على خلل كبير في النفسية) سيدخلك في فرن أبدي حيث لا تموت و لا تحيا, و يبدل جلدك مرة بعد مرة حتى تذوق العذاب.فرعون نفسه لم يكن ليتخيل في أبعد أحلامه أن يكون يوما من الأيام مثل الله. بل أحسب أنه لم يؤمن به لأنه شعر بالغيرة اذ لم يستطع أن يكون مثله. لا عبرة بالحب اذا كان للموافقين, حتى فرعون و قارون يحبون الموافقين لهم, ان العبرة هي بحب المخالفين, و اله العالم, على فرض وجود شخص مثل هذا, فانه يفترض أن يكون محايدا لكل الكائنات, و أما الذي يخلق طبيعة ثم يعاقبها على انها تصرفت بحسب ما جعله هو فيها فان هذا مفصوم الشخصية لا يحتاج الى عبادة و لكن يحتاج الى محلل نفساني. و أرجو أن لا نضطر الى الخوض في مسألة "حرية الاختيار" المضحكة هذه. بالنسبة الى خالق العوالم لا يوجد الا الحتمية المحضة.

و لذلك نرى أن القرءان يخوف و يمنع المؤمنين من مخالطة المخالفين الخائضين في ايات الله و المجادلين. بالرغم من أن القرءان نفسه لم يترك عقيدة أو فكرة الا و أشبعها جدلا و تسفيها و تكفيرا و تهديدا و استهزاءا. أما اذا أراد أحد أن يعمل نفس هذا العمل مع القرءان فان هذا يعتبر من الملاعين و هو عدو لله و الناس. و كذلك ترى القرءان يلوم الذين يقولون "لا تسمعوا لهذا القرءان و الغوا فيه" و من ناحية أخرى نراه يقول للمؤمنين "لا تقعد معهم" أي مع الخائضين و المجادلين و المخالفين للقرءان. فباختصار, القرءان يسير على فكرة "حلال لنا و حرام عليكم". و هل عودنا الفراعنة الا على هذا!

لعلك تقول: ان الاسلام جعل طلب العلم فريضة, الاسلام ذكر العقل و العلم في أكثر من 1000 موضع من القرءان, أو أن التفكير فريضة اسلامية, و التقليد في الاصول ممنوع, الخ القائمة المملة المنابذة لمقتضيات العلم من كل وجه. ان مجرد وجود تهديد للمخالف لعقائد الدين هذا بحد ذاته يلغي العقل و يشوهه طوعا أو كرها, و هذا ما تراه في الأغلبية الساحقة, بل أكاد أقول كل المؤمنين مهما اختلفت ألوانهم. ان مجرد وجود كتاب يحوي عقائد و أفكار و قوانين يجب أن تتبعها و الا ستفقد العصمة و يستباح دمك و مالك, أو تقل قيمتك, أو تقتل و غير ذلك مما هو معروف نظريا و عمليا, هذا كله يقتل العلم. الخوف يشوه العقل و يمسخه مسخا. منع حرية التعبير المطلقة في المجتمعات المتدينة, بل و غير المتدينة بدين الله (اذ الحكومات أديان مثلها مثل حكومة السماء) ان هذا المنع و التهديد الاجتماعي للمخالف و المجاهر بمخالفته هذا كله دليل على الجهل و على الخوف و على الاستعباد. حتى هؤلاء الذين يدعون أنهم يؤيدون حرية التفكير و البحث العلمي فانهم اذا وصلوا الى مسائل معينة فانهم يتوقفون و لا يستطيعون أن يبحثوا الا من منطلق التبرير, أي تبرير عقائدهم السابقة التي يريدونها (لأسباب نفسية نعرفها

جيدا) أن تكون صحيحة. اتركونا ننشر فكرنا كما نشاء بدون تهديدات من أي شكل ان كنتم صادقين في أن دينكم يدعوا الى حرية الفكر و العقل و أنكم على الطريقة المثلى الفطرية و أننا على الطريقة الضالة المبنية على شفا جرف هار. خلوا بيننا و بين الناس لنرى من الذي سيذهب جفاء و من الذي سيمكث في الأرض.

ان الدين يؤيد العلم بمعنى أن تعلم ما يقوله لك و تعمل به, لا بالمعنى الابليسي الحر للعلم. الدين يؤيد التفكير الذي يوصل اليه فقط. الدين يؤيد الجدل اذا كان سيضحض المخالف و يزيد عدد الغنم في حظيرته. نعم الدين يؤيد كل ما من شأنه أن يوصل اليه طوعا أو كرها, أما المعنى التنويري للعقل, فهذا لا مكان له في الدين. اذ الدين عدو النور. الدين يلعب في مساحة الظلمات, ظلمت المجهول الذي لا يمكن معرفته يقينا, ظلمت الخوف, ظلمت الكبت و التزوير. اذا كانت حججكم هي الأقوى كما تقولون فلماذا تخشون من أن ننشر حججنا ؟ اذا كنتم فعلا تثقون بدينكم فلماذا لا تدعونا ننشر رؤيتنا ؟ لا تخدعوا أنفسكم, أنتم تعلمون, كما يعلم الهكم, أن التنور سيمحقكم. و لذلك بداية من الهكم الى أبسط عامي فيكم كلكم تخشون "العلماء" , و لكل أجل كتاب, و لكتاب التنوير الحقيقي أجل هو بالغه, و سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون. و يومئذ يفرح العالمون بنصر الحق الذي ينفع الناس و العودة الى تناغم الوجود.

و أما من زاوية الاخلاص و الفطرة. فهنا يظهر لنا أن ءادم مضطرب و مكره و مريض, و أما ابليس فيظهر أنه مخلص و طبيعي و عفوي في حياته. ان الذي يعمل عملا من اجل الاجر الخارجي فهو لا يعمل لانه مخلص و محب و لكن لأنه مريض و مكره. و هذا ظاهر بنفسه, و نراه جليا كذلك في مثال سحرة فرعون. فهؤلاء لما راحوا ليناظروا موسى قالوا لفرعون "أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبون. قال نعم و انكم لمن المقربون" ثم بعد أن تخلوا عن ربهم فرعون قالوا له "انا ءامنا بربنا ليغفر لنا خطايانا و ما أكرهتنا عليه من السحر" لاحظ جيدا قول السحرة " و ما أكرهتنا عليه" بالرغم من أنهم في البداية, ظاهرا, جاؤوا الى فرعون بحماسة و يقين. و هذا هو ديدن سحرة فرعون الارضي و السماوي, ظاهرهم الحماسة و اليقين و باطنهم النفاق و الكره المقيت. فهم يعملون أعمال فرعون ليس لأنهم فعلا يرغبون بأن يعملوا ذلك العمل من دافع طبيعتهم النفسية و جوهرهم و تصوراتهم الشخصية, لا, و لكن فرعون مستحوذ عليهم بحيث يكرههم و يخوفهم ليعملوا أعمالا بدافع الرغبة في المعيشة. فهم سلبيين و ليسوا ايجابيين في قلوبهم. و لذلك يطلبون الأجر.

و لاحظ كذلك أن رسل الله يقولون و يكررون "لا نريد منكم أجرا" أي من الناس, بالرغم من أن نهاية الأمر تراهم يطلبون الأجر و لكن بصور مستترة مثل الزكاة و الصدقة و الغنيمة و الخمس و ما شابه. هذا من ناحية طلبهم للأجر

المالي, و أما من ناحية الأجر المعنوي و العملي فحدث و لا حرج, انهم صادروا حياة الناس و كرامتهم و عقولهم, فهل بعد ذلك من أخذ! و القرءان نفسه يقول "اتبعوا من لا يسألكم أجرا" فاذا جاء القرءان ليقرر بعد ذلك أن للرسول و لذوي قرباه (هذا لا يظهر المصالح الشخصية أبدا!!) أن يأخذوا خمس الغنائم, سواء فسرت الغنائم بأنها غنائم الحرب, و هذا أسوأ اذ يجعل الرسول يأكل من دماء الاخرين و سرقة جهودهم, أو سواء فسرت على أنها كل مكسب يكسبه المؤمن و ذلك لأن الغنم عكس الغرم, و الغرم كل مال تخسره فالغنم كل مال تكسبه, بصورة عامة. فهذا لا يظهر أي تناقض في عقل المؤمن بالله و رسوله, و لماذا يفكر أصلا! و لا اشكالية أيضا اذا جاءت اية اخرى تقول "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها و صل عليهم ان صلاتك سكن لهم" ألا يعتبر هذا مخالف لمقتضى قوله "اتبعوا من لا يسألكم أجرا"؟! و انظر الى هذا التبرير اللطيف المضحك لأخذ المال من الناس, "تطهرهم و تزكيهم بها" و كأن المال وسخ و نجاسة, فان كان كذلك فلم تأخذه اذا؟ و لكن لا بأس اذ هو لن يأخذه بدون مقابل, بل سيعطيه مقابل هو "و صلّ عليهم ان صلاتك سكن لهم" و هذا من عادة الأديان أنها تستغل العقد النفسية عند الناس لكي تكسب المال و السلطة. و لاشك أن المؤمن اذا أعطى ما "فرضه" الله عليه و جعله في ذمته, فان هذا يجلب له شعورا بالراحة. فعندما تؤدي "الفريضة" المتعلقة في عنقك, فان من البديهي ان تشعر بالراحة بعد ذلك. و هذا لا يدل ان الفريضة نافعة او الهية او اي شئ, بل يدل على عمل في هيكل النفس معروف على مستوى البشرية. فكل انسان يلزم نفسه بشئ ثم يؤديه سيشعر بالراحة بعد ان يؤديه. حتى لو كان هذا "الفرض" هو اغتصاب ثلاث اطفال كل يوم! فالاحساس واحد في الجوهر مهما اختلفت الصور.

و حتى لو أن الرسل و خلفاءهم و رجال دينهم لا يأخذون المال من الناس, و هذا غير واقع أبدا, و لكن فلنفرض جدلا, فانهم مع ذلك يطلبون الأجر من الله. و الله هو الذي وعدهم في الأجر كثيرا. حتى ان أكثر أوامر القرءان تنتهي اما ببشارة بنعيم أو بتهدبد بجحيم أو بكلاهما. و ليس للرسول أن يجهتد رأيه اذا لم يعجبه شيء من أمر الله. فهو مستعبد مستحوذ عليه, مثله مثل سحرة فرعون, يريد الأجر و يريد أن يكون من المقربين. أي عمل له أجر من خارجه و يكون هذا الأجر هو الدافع فان هذا العامل مكره مستحوذ عليه.

و لكن ابليس له نفسية أخرى. عندما عارض ابليس و عندما رفض و عندما ضحى بالجنة و ربه و الملائكة فهل كان يطلب أجرا على عمله و وقوفه في صف التنوير و التناغم؟ هل راح يبحث عن أحد ليعزيه في وحدته قبل أن يضحي برفقة الملائكة؟ لا. و لكنه عمل لأنه يرغب في العمل. قال لأنه يرغب في القول. ثار لأنه يرغب في الثورة. اذا أردت أن تتبع ابليس, و هو لا يريد أتباع أصلا اذ يرفض استعباد أحد و فكرة أن الشيطان يريد عبيد و أن الناس ممكن أن تعبد الشيطان هي من سحر الله و رسله و لا واقع لها, أنت تتبع الشيطان عندما تتحرر من كل طغيان و تكون فعلا انسان. و لكن اذا أردت أن تتبعه بهذا المعنى, فهل سيأتي أحد و يأخذ من مالك صدقة ليطهرك

بزعمه؟ هل سيأتي أحد و يأمرك أن تقوم بطقوس مضحكة؟ هل يوجد أحد سيأتي و يهددك اذا لم تأخذ أفكاره على عمى أنك ستذهب الى جهنم و بئس المصير؟ هل سيأتي أحد و يعطيك كتابا و عقائدا أو يفرضها عليك و أنت طفل حتى تستحكم فيك فلا تستطيع الخلاص منها أبدا أو الا بعد جهد عظيم؟ هل ستؤمر بالقيام بما يخالف جوهرك و قناعتك الشخصية؟ هل سيكون عليك ملكا أو أميرا أو حاكما يركب على ظهرك باسم الله و شريعة الله او باسم القانون و شريعة الرؤوساء؟ هل سيظهر لك الشيطان و يوحي اليك أن تقتل الناس و الا فان لك النار خالدا فيها؟ هل سيأمرك ابليس بأن تقوله له "يا جلالة الملك" أو "رضي الله عنه" أو "عليه الصلاة والسلام" أو "المخلص و المنقذ" الى اخر هذه الالقاب و النفاق الجمعي و الوهم السخيف؟ باختصار: ابليس على فطرته و بكرامته يحيا و بعقله المستنير فعلا يسترشد.

و من زاوية المسؤولية. نرى أن عباد الله غير مسؤولين في الحقيقة بل و يخافون المسؤولية و لذلك ينسبون أفكارهم و أحكامهم و أعمالهم الى الله. فالرسول يدعي أنه رسول, و هذه هي المصيبة. اذ انه يحيل على الله,و هو غير موجود طبعا, على الأقل بيننا, و بذلك لا نستطيع أن نجادل الله, و في نفس الوقت لا نستطيع أن نلوم الرسول "أفتمارونه على ما يرى" , "فانهم لا يكذبونك و لكن الظالمين بئايت الله يجحدون" فأنت أيها الرسول المسكين لا ذنب لك, و لا أحد يلومك انت على شيء, و ليس لك من الأمر شيء أصلا, أنت مجرد رسول و ليس عليك الا البلاغ المبين و لست عليهم بوكيل. كل هذه الأفكار تدل على عدم المسؤولية و التهرب منها. لو كانت أفكار حقيقية فعلا هذه التي تأتي بها أيها الرسول, و ان كان فعلا معك الحجة البالغة التي تدمغ الحق و تزهق الباطل كما تقول, فلم تخشى من نسبتها اليك و بالتالي نستطيع أن نحاورك و نجادلك أنت؟ و هذا كلام في الهواء بالطبع لأسباب عديدة أهمها و أبسطها ان رسل الله قد ماتوا كلهم, و الأحرى أن نقول ان رجال دين الله قتلوهم, و لم يبق اليوم الا العلماء و الفقهاء و الوعاظ بدين الله, و هؤلاء اذا جئت تحاورهم و تجادلهم في دين الله أقصا ما سيفعلونه, خاصة اذا انحصروا و أفحموا, فانهم يلوون رؤوسهم و يقولون أنهم مجرد أتباع للدين و الله سيحكم بيننا يوم القيامة فيما كنا فيه نختلف, أو يقولون ما هو أسخف من ذلك أي تعالوا نتلاعن و نجعل لعنة الله على الكاذبين أي المباهلة و ما أشبه من وسائل طفولية تدل على جهلهم و انقطاع حجتهم و خوفهم من الخروج من ربقة السحر و الاكراه الذي مورس عليهم, و الأكبر من ذلك هو لأنهم اذا قتلوا أنفسهم القديمة بالتنوير فان العقد النفسية القديمة المكبوتة ستظهر كلها, و الرغبات الاثمة ستظهر كلها في وعيهم بدرجة أو باخرى, و هم كانوا يستعملون عقائدهم الدينية لاخفاء و كبت هذه العقد و الرغبات, فاذا مات السبب مات الأثر, و لو لا شعوريا.

أما ابليس فانه لا يروي الروايات, و لا يعتمد على قال الله و قال الرسول, و لا يعتمد على انا وجدنا اباءنا, بل ليس له الا عقله و مبلغ علمه الذي لا يزال يتطور ما دام حيا. ان الانتساب الى الله كما يفعل الرسل و خلفاءهم هو

دليل الخوف و الكذب و على أقل تقدير قرينة على التهمة. كن فردا. و تواصل بجوهرك و ما تراه. و ترى انعدام المسؤولية يتعزز بفكرة ان الله قدر الأشياء في كتاب عنده, أي فكرة القضاء و القدر و مشيئة الله المزعومة هذه, و لا أدري صراحة كيف يتخذ عباد الله هذه الفكرة خاصة و أنها من أكبر المطاعن في الههم و عقائدهم. و يزداد التعزيز بجعل المسؤولية و الحساب في حياة أخرى, آآه من هذه الفكرة الضارة المقيتة التي سببت أغلب أضرار في هذه الحياة و أرست دعائم الطغاة كما يرسخ الجبل. ان الحساب على أعمالك في هذه الحياة لا يكون الا في هذه الحياة, و أمام الناس. الناس هي التي تحاسب و يجب أن تحاسب, و هذا ليس كحساب الطواغيت الذي يتصوره البعض ممن هو متأثر بفكرة الله ويوم الحساب, و لكن مثلا اذا عرض أحدهم فكرة و راح يدعو الناس اليها فعلينا نحن ان ننظر فيها و نحكم عليها و لا ننتظر حياة أخرى ليحاسب عليها, و اذا وكل الى أحد الناس منصب في المجتمع فالمجتمع هو الذي يحاسبه على كل صغيرة و كبيرة. و هكذا في كل شيء. لا علاقة لله في حياتنا نحن الناس. ان الله, ان كان موجود أصلا في الخارج و ليس فقط في مخيلاتنا, فانه جالس على عرشه و مرتاح و لا علاقة له بحياتنا و ما نحتاج اليه, بل انه من عوائق التطور النفسي و الاجتماعي, و هو و رسله و كتبه من عقبات النمو. فهو مرض و ليس شفاء, هو حجاب و ليس نور. و هل تجد التعصب للقديم الخرافي الا عند المجتمعات الدينية؟ هل تقدمت هذه المجتمعات يوما الا عن طريق اخراج الله و دينه من المعادلة؟ ان الله حصن و جدار, و هؤلاء اليهود قابعون في قرى أديانهم المحصنة و لا يكلمون الناس الراغبين في التطوير و النمو و الترقي التنويري الا من وراء جدر قال الله و قال الرسول و الأدهى قال الامام و الصحابي! ان التنوير سيخرجكم من دياركم عاجلا أم اجلا و ستحشرون و أفكاركم و أئمتكم ثم ستغلبون و تضطروا الى اللجوء الى الكهوف أو القبول بالحياة الراقية.

الدين لا مسؤولية حقيقية فيه. و بدون مسؤولية لا يوجد الا الطفولية و الجاهلية.

و لعل أحد القراء أو السامعين الكرام يتسائل: و لكن ألم يقل ابليس "رب بما أغويتني" أليس هذا دليل على التبروء من المسؤولية و جعل الله هو المسؤول عن اضلاله؟ أقول: بماذا أغواه ربه ؟ انما أغواه جوهره النفسي. و لذلك رفض الانصياع للأمر الطغياني. و حيث ان الرب هو الخالق المربي, اذ أنت لم تخلق جوهر نفسك و هيكلك, فاذن قوله "رب بما أغويتني" هو ليس تهرب من المسؤولية, بل هو اقرار بحقيقة واقعية. مثل اذا جاع رجل فذهب و أكل فقال "رب بما جوعتني" فالرب هو الذي فطر هذه الأجسام و جعلها تحتاج الى الطعام. فاذا جاء الرب و عاقبك على انك قمت بعمل فطرت عليه فهذا دليل خلل في عقل الرب و ليس فيك. و هذه من أكبر أمراض الرب, أنه خلق الأشياء ثم يعاقبها (أو هكذا يدعي رسله على الأقل) على انها اتبعت ما ترغب فيه. ويوجد نظرة أخرى لقول ابليس, و تستطيع أن تلاحظها اذا ذكرنا القول كاملا "رب بما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم" فالباء في كلمة "بما أغويتني" هي باء الوسيلة, مثل لو قلت لك "سأذهب الى المدرسة بالسيارة" , و بذلك تكشف هذه الباء عن خلاصة دعوة ابليس كلها, و هي أنه سيستعمل جوهر النفس و الطبيعة كوسيلة لابعاد الناس عن دين الله الطغياني و الغير فطري. فكأنه يقول لربه "أنت أغويتني بجوهر النفس, و أنا سأستعمل جوهر النفس و الواقع لكي

أدعوا الاخرين للتخلي عن دينك الذي يطغى على جوهر النفس لصالح متعتك و مرضاتك أنت". و يكفي دلالة على مسؤولية ابليس أنه لم يعصي الأمر ثم يقول " ان فلان قال أنه يجب أن أعصيك" و ما أشبه من هذه الأمور التي نسمعها و نراها ليل نهار من قبل عبيد فرعون الأرض و السماء. ان الدين, سواء كان سماوي او سياسي, انما هو هروب من النفس و الحياة الكريمة. و بذلك نرى أن أتباع الدين هم ممن يستعذبون العذاب, و يستمتعون بالاهانة, يفرحون بالحزن و البكاء, و يستمرؤون الذل. ساديين و مازوخيين بالمصطلح النفسي المشهور. و أما عن قدرتهم العجيبة على كبت انفسهم و حد عقولهم فهذا مما يجب ان نعطيهم عليه الجوائز, فهذا فعلا من عجائب هذه الحياة.

ان استعمال العقل في الباطل خير من قتله بسبب الحق. و استعمال العقل لا يؤدي الا الى حق عاجلا أم اجلا بشرط انعدام أي سلطة غير سلطة البرهان و الواقع و ما ينفع الناس. و هذه ليست سلطة. السلطة هي الاكراه و الخوف و القبول بفكرة ليس من أجل الفكرة و لكن من أجل ارضاء كائن ما.البحث الحر هو الحياة. البحث الحر هو أعلى ما في الحياة. البحث الحر هو المتعة الكبرى و لو جربت كل متعة في الحياة. الجسم يموت و الشهوة تنطفئ و لكن العقل حي خالد, و اذا مات فانك لن تشعر أصلا أنه مات لأنك لن تكون موجودا, و اذا أصيب العقل بخلل دائم فالموت خير من الحياة. أسأل الله أن يحفظ علينا عقولنا و يديم علينا الترقي.

و الحمد لله الذي خلق ابليس , و الشكر لابليس أنه ثار على الله.

(هل عقوبة الله لابليس عادلة؟)

من المبادئ القانونية للعدالة التي ارتقى اليها الناس, و قد أقرها القرءان أيضا في بعض اياته, هو مبدأ "شرعية الجرائم و العقوبات". أي انه لا جريمة و لا عقوبة الا بنص شرعي منشور بين الناس. فيجب على الحكومة العادلة أن تحدد ما هي الأعمال التي تعتبر جريمة, و عليها أيضا أن تحدد ما هي العقوبة التي ستقع على مرتكب الجريمة, ثم عليها أن تنشر هذا بين الناس حتى يهلك من هلك عن بينة, و يحي من حي عن بينة. و القرءان نفسه يقر هذا المبدأ, و هو مبدأ بديهي للعدالة الراقية. و لذلك مثلا فان القرءان لا يحدد عقوبة للذي يرتكب ذنب التزوج من امراة ابيه مثلا من قبل أن يشرع هذا الحكم, و لذلك يقول "الا ما قد سلف". و باختصار القرءان يحدد هذا المبدأ في قوله "و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا".

حسنا, هل التزم الله بهذا المبدأ حينما حكم على ابليس باللعن و الطرد و العذاب الأبدي بسبب ارتكاب ابليس لمعصية عدم السجود لادم-على فرض أنه معصية؟ الجواب: ان الله لم يحدد أن هذا العمل يشكل جريمة بحد ذاته, و فوق ذلك لم يحدد ما هي عقوبة مرتكبه. و لذلك نرى أن الله عندما يخاطب ابليس و يستجوبه "ما منعك أن لا تسجد" ففي الثلاث مرات لم يذكر له أن عقوبتك ستكون الطرد و اللعن و الخزي الأبدي اذا لم تطيعني. بل تركه يجيب كما يشاء بحرية ظاهرية, ثم عندما استمر ابليس في عرض مكنونات صدره, و لم يجد الله يجيبه بجواب شافي, فانه فوجئ على حين غرة بالله ينفجر غاضا "اخرج منها فانك رجيم! و ان عليك اللعنة الى يوم الدين! اخرج منها مذؤما مدحورا!"

نلاحظ في دراستنا لهذه القصة, و هي أول قصة وقعت في خلق العوالم, أن الله قد ارتكب الكثير من الاخطاء و التي تراجع عنها أو لنقل أنه طورها لاحقا و ارتقى بعقليته بعدها. فمثلا يظهر في هذه القصة أن مبدأ شرعية الجرائم و العقوبات لم يكن حاضر بالمرة, و لكن في القصص اللاحقة فانه أصبح يحكم بناء عليه. و كذلك مثلا في دعاءنا نحن أهل القرءان نقول "و لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا" فهو كان يحمل اصرا على الذين من قبلنا, و لكنه تطور و ارتقى و اصبح عنده استعداد نفسي لأن لا يحمل اصرا. و هكذا نرى أن التطور النفسي الاخلاقي هو من صفات الله ايضا. و من هنا نرى هذا المبدأ يعمل في المخلوقات. و هذا ليس بأمر غريب اذ ان المخلوق مراة الخالق.

و لعل من اخطاء ابليس أو هفواته هي انه لم يذكّر الله بأنه حكم عليه بغير الحق. و لا تتعجب من ان المخلوق يجوز له أن يطلب من الخالق أن يحكم بالحق. ألم تقرأ خاتمة السورة التي فيها "قل رب احكم بالحق"؟ ان الانسان العالم مشارك لله في عملية الخلق و تنويره. و لذلك يقول الله "و ان تنصروا الله ينصركم" و "ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب". و ابليس لسبب ما لم يذكر الله بذلك أو يجادله من هذه الناحية.و معلوم أن من اخلاق الله الجديدة هو الاذن للناس بان يجادلوه قبل أن يحكم عليهم "يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها". و لذلك من المبادى التي تحكم عمل الله هو انه يسعى الى أن "لا يكون للناس على الله حجة" فالعلاقة الجديدة بين الناس و الله ليست فقط علاقة عبيد بسيدهم, و لكن أيضا علاقة أخلاء بخليلهم, و عشاق بمعشوقهم. و من سوء الأدب مع الله أن لا تخاطبه و تتحدث عنه الا من موقع الهيبة والتحرز و النفاق الذي يقوم به أتباع الدين خاصة, دين الاحزاب. ان كان عندك اعتراض على الله فاظهره, هو يحب هذا و يدعو اليه. ان كان عندك حجة ضد كلام الله أو عمله فاظهرها و جادله, هو يرغب في هذا و يرضا عنه. فلتكن علاقتكم مع الله ربكم حقيقية كاملة شاملة. الله ربك و سيدك و معشوقتك و كتابك و عقلك و اخوك و اختك و ابوك و امك و ابنك و بنتك و استاذك و عبدك, الله كل شئ و لا يوجد غيره الا و هو هو. هذه هي العلاقة الحقيقية بالله. و أما ما يقوم به الأكثرية من كبت للاعتراضات, و اظهار

للنفاق, وابتاع لشرائع مكروهة و مجهولة, أو اعتقاد بأمور مرفوضة و منبوذة, و مع كل هذا, لعلهم اذا قرأوا مثل هذه الدراسة فلعلهم يرتجفون خوفا أو يمقتون الفقير كاتب السطور و يجعلوه في صف اعداء الله و الدين , و من يدري لعل قتل جسمه ليس عن هؤلاء الوحوش المسعورة ببعيد. و لا شك أنهم سيحسبون أنهم يحسنون صنعا بفعلهم. و ما يدرون او لعلهم يخفون و يخدعون أنفسهم, اذ ان باطنهم اللاشعوري يوافق على أكثر ما ذكرته في هذه الدراسة, أو لعله كله. و لكن ماذا نفعل ان كانت صورة الله ممسوخة في قلوبهم.

على أية حال, فان هذه الحجة التي ذكرناها تدعونا لطلب استئناف لمحاكمة ابليس. اذ ان الحكم الالهي الأول مطعون فيه بحجة أن الله لم يبين ان رفض السجود لبشر هو معصية و عقوبتها هي اللعن الأبدي, بالاضافة الى ذلك فان الحكم غير مسبب بتسبيب مقبول. و أي قاضي يحكم بحكم ما, خاصة ان كان قاسيا, ثم لما يسأل عن سبب حكمه فيقول "لا يوجد سبب الا أنه حق اذ انا الذي حكمت" فان هذا القاضي بين الناس يعتبر جاهل ظالم, و طاغية جبان. و لذلك نحن نرى ان الله في الايات اللاحقة تطور من هذه الناحية ايضا و التزم بمعيار العدل, اذ يقول "ان الله لا يظلم" و "و ما ظلمتهم" و في هاتين الكلمتين و كثير غيرهم, يثبت أن العدل و الظلم لهما معيار خارجي موضوعي, أي أنهما مبادئ تحكمها مبادئ روحية مشهورة متعلقة بعلاقات النفوس الحية ببعضها.و من أتباع الطغيان من يزعم أن كل ما يحكم به الله حق لان الله هو مالك الملك كله, و مالك الشئ لا يمكن أن ينسب له الظلم بسبب تصرفه في أملاكه, و يستدلون مثلا أنك اذا أتلفت مالا تملكه فان هذا من حقك و لا يقال أنك ظالم. و من هنا يجعلون الله عادل حتى لو أدخل النبي الى جهنم و أدخل ابولهب الى الجنة. أقول: اني لا أعلم عن أي اله تتحدثون, و الصراحة أني لا أريد أي علاقة مع هذا الاله السخيف. الا أن اله القرءان يقول "و ما ظلمتهم" و يقول "ان الله لا يظلم" و لو كان اله القرءان يعتقد بنظريتكم الطغيانية هذه لقال "اني لا يتصور مني الظلم أصلا" و لما قال ما هو موجود في هذا القرءان. و اذا لم يعجبكم القرءان فارجعوا الى مروياتكم التي فيها ان الهكم يقول "يا عبادي اني قد حرمت الظلم على نفسي" . فالظلم متصور من الله فعلا. و أقل ما يقال في تعريف الظلم هو هذا: عندما يخالف الله أمرا هو نفسه قد أمرنا أن نلتزم به! و لعل هذا يدخل تحت بند "لم تقولون ما لا تفعلون". فمثال, عندما يأمرنا الله بأن نلتزم مبدأ شرعية الجرائم و العقوبات, ثم نرى أن الله نفسه لم يلتزم به, فان هذا يعتبر ظلما. و عندما نرى ان الله يأمرنا بالصدق التام و أنه يحب الصادقين و أيضا يأمرنا بان نجادل المخالفين بالتي هي أحسن, ثم نرى أن الله يعاقب ابليس على صدقه التام و صراحته له, و نرى أنه لا يجادله أصلا بل ينزل به العقوبة القاسية فورا, فان أقل ما يقال هو أن هذا ظلم. و كذلك عندما يأمرنا الله أن نعفو عن المسئ و أن هذا هو الخلق الأعلى من الانتقام, ثم نرى الله يسمى نفسه "الأعلى و المتعال و العلي" ثم نرى انه يبطش بالمخالفين, و ينتقم منهم أشد أنتقام, و يجهز لهم عذابا أبشع من كل صور العذاب و يكون المشرك يستحق عقابا الأبد و لو كان أصدق الناس و أنفعهم للناس بل و لو كان نبيا من أنبياءه "لئن أشركت ليحبطن عملك" فعمل سبعين سنة لله يسقط باشراك دقيقة

واحدة! فلا يجرؤ أحد على الوقوف في صف هذا الازدواج و الكيل بمكيالين , بل ان أقل ما يقال هو أنه يجب أن نمقته على ذلك, اذ هو نفسه يقول "لم تقولون ما لا تفعلون, كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون" فالمنافق يستحق المقت, هكذا حكم الله. الذي يقول ما لا يفعل يستحق المقت.

ان ازدواجية الله في القرءان هذه, فمرة نراه الكائن الراقي, و مرة نراه المنافق المريض, هذه الازدواجية العجيبة المطردة يجب أن نرى لها حلا. و الحقيقة اني وجدت حلا, و لكنه صعب و لن يقبله الكثير. الا أنه الحل الوحيد في عالم القرءان. و هو الذي سيحل لنا كل هذه الاشكالات على فكرة الله في القرءان. و هذا هو الحل: ان الله ليس دائما هو الله! بل يوجد اثنين "الله". احدهما هو الله الحقيقي كما هو في الواقع, و الثاني هو الله المزيف الذي اخترعه أرباب الدين لمصالحهم و أيضا كانعكاس لمرض السلطة الموجود في الناس."فليغيرن خلق الله" نعم ليغيرن "خلق" بمعنى أخلاق كما في قوله "و انك لعلى خلق عظيم", و أيضا بمعنى الخلقة أي الهيئة و النفسية و الذات كما نقول أن فلان حسن الخلقة أو قبيح الخلقة. و ما وقع فعلا هو أنه يوجد صورتين لله: صورة الرحيم المقدس المتعالي, و صورة فرعون السماوي! أكثر الناس تعتقد بصورة فرعون السماوي على انه هو الله. و أكثرهم أيضا يعتقدون بالله الحقيقي و الله الممسوخ في ان واحد, فيعتقدون أن الله غفور رحيم و معذب أليم, يعتقدون ان الله نور و ظلمة, أنه كريم و منتقم. و لذلك قال و ما اعظم ما قال "و ما يؤمن أكثرهم بالله الا و هم مشركون" . نعم أكثر الناس واقعا يؤمنون بالله المتعالي و الله المريض الممقوت في ان واحد فهم يشركون بالله الحق هذا الاله الباطل. و كل دراستنا هذه تثبت لنا ان ابليس ضد الاله المريض الممقوت المزيف الذي اخترعه الناس. و لكن الله الحقيقي هو محبوب الكل. و لذلك حتى ابليس يقول "اني اخاف الله رب العالمين". انتبه أن الله الحقيقي هو رب العالمين, أي العلماء و اولو العلم الحقيقي. و لكن الله المزيف ليس رب اولي العلم و انما رب المكبوتين و المرضى المنافقين! القرءان يفصّل عن اخلاق الله الحقيقي و المزيف و يترك أمر التفريق بينهما للعين العارفة. و ايات الزيف و المرض تظهر بالمقارنة و التدقيق و عرض الاخلاق على ايات العلم و الرحمة. و لذلك كان مفتاح القرءان هو "بسم الله الرحمن الرحيم" اذ يوجد في القرءان" الله الجبار اللئيم" فلا تنخدعوا به, و اعلموا ان الأحبار و الرهبان سيستعملون هذا "الله". و أما أنتم فليكن الهكم هو الرحمن الرحيم.

كل هذا الكتاب هو عن الله المزيف المصنوع. و أما الله الحقيقي فمتعالي عن كل هذا. فحيثما تجد العلم و الرحمة فهو الله الحق, و حيثما تجد الطغيان و السيطرة و الجهل و التفضيل الأعمى و التعصب و الغضب فهو الله الممقوت المزيف. هذا فرقان عظيم فاحفظه يحفظك الله فهو "خير حافظا و هو أرحم الراحمين".

تأمل مثلا في القول الذي يتكرر كثيرا في القرءان و هو "اتقوا الله". الاتقاء لا يكون الا من شر. كاتقاء الحر, و اتقاء المرض, و اتقاء العدو. و هذا معروف و متداول حتى بين عامة الناس و لهجاتهم المختلفة. فكيف يقال "اتقوا الله" الا لو كان الله في هذه الموارد هو عبارة عن الشر الذي قد يصيب الانسان! و لذلك نرى مثلا انه يقول "اذا أردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرتها تدميرا" فسواء قرأنا "أمرنا" بمعنى الامر أو بمعنى التأمير أي جعل الفساق أمراء, على كلا الوجهين يكون الله هو الذي أمر او أمّر الفساق ثم اتخذ هذا ذريعة ليدمر الناس. فالله هو باعث المرسلين رحمة للعالمين , و هو أيضا مؤمر الفاسقين ليدمر العالمين. فيذكر الله على كلا الوجهين. فالله هو الخير و الشر. و الفرق هو في رغبات الناس و أعمالهم. فان رغب الناس في الخير و عملوا به فان الله يتجلى لهم على أنه أرحم الراحمين, و اذا عمل الناس الشر و رغبوا فيه فان الله يتجلى لهم على أنه الجبار اللئيم. و واقعا الله ليس هذا و لا ذاك, أو قل هو هذا و ذاك, فالله ليس الخير و لا هو الشر, تعامل الناس في الوجود هو الذي يخلق الخير و الشر أو يظهرهما. الله هو القوة و الطاقة في العوالم , "لا قوة الا بالله" و لذلك ينسب كل شئ له. اذ بدون القوة و الطاقة لعمل شئ فان هذا العمل لن يتم أبدا لا على المستوى النفسي و لا الاجتماعي أو الافاقي الطبيعي. و لذلك يقال أن الله فعل كذا و الله قال كذا. اذ الله ليس شخص محدود ناقص واقع في الزوجية. بل هو الوتر المتعالي الممد لكل شئ "كلا نمد هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك". فاهل الخير و العلم يستمدون من الله, و أهل الشر و القسوة أيضا يعملون بطاقة مستمدة من الله.

فالله يذكر في القرءان على انه الطاقة الوجودية, و أيضا على أنه المثل الأعلى للمؤمنين أي الرحمن الرحيم و باقي الأسماء الحسنى التابعة لهذين الاسمين. فاذا وجدت "اتقوا الله" فالمقصود شر قد يقع عليك اذا لم تقم بأمر معين, كأن نقول للذي لا يمارس الرياضة و لا يعتني بصحة جسمه "اتقي الله" و هذا يعني أنه سيصاب بامراض و شر اذا استمر على العمل بهذه الاسباب المفضية الى شر و ألم. و قس على ذلك. و كذلك في المواضع التي يظهر الله فيها جبارا طاغية و مريضا- كما رأينا في قصة ابليس مثلا- فان المقصود هو الاله الذي اخترعه الانسان من أجل توسيع كبريا ءه في العالم عن طريق تقزيم الاخرين. و في المواضع التي يظهر الله فيها بالرحمة فهذا هو الله الحق الذي قيل عنه "و لله المثل الأعلى".

فاذن الله في القرءان ياتي على ثلاثة وجوه: الأول هو الأمور الواقعية التابعة لسنن الخلق. و الثاني هو الصورة المخترعة من قبل الناس لمصالحهم الشخصية. و الثالثة هي المثل الأعلى للناس و هي المحكومة باسم الرحمن الرحيم.

أما الله على الاعتبار الأول فهو الذي يؤمن به كل الناس بل لا يوجد من ينكره فعلا (و من هنا نقول انه لا يوجد ملحدين بالمعنى المشهور اي الذي ينكر وجود الله). و أما على الاعتبار الثاني فهو الاله الذي ينكره الملحد و يثور عليه المصلح و يشمئز منه قلب العارف و ينفر منه حتى قلب الذي يعبده. و اما على الاعتبار الثالث فهو الذي يجعله الانسان السليم كمثله الأعلى الذي يسعى للتخلق بأخلاقه و نشر حكمه بين الناس. و على الاعتبار الأول فانه لا يوجد اسم و لا دين يحتكر هذا المعنى لله, اذ السنن و الحقائق الواقعية مقبولة للكل و يمكن ان يقبل بها الكل و حتى الذين يرفضونها فانما يرفضون بعضها كالذي يرى ان الاله الساكن في السماء الخرافية هو الذي يشفيه و مع ذلك يذهب الى الطبيب البشري و ياخذ الدواء! و الله بالاعتبار الثاني هو شغل الدين الخرافي و للاسف هو السائد. و الله بالاعتبار الثالث هو الاله الذي يفترض أن يتخذه الناس كمثل أعلى و هو اله الراقين المحترمين من الناس (اي تصورهم للكمال), أي العلماء منهم و أصحاب النفوس الكريمة, و لعل عددهم القليل يتزايد مع الأيام و نشر الدراسة و كشف رقاعة الاله بالمعنى الثاني.

و أرى أنه يجب ان نحصر استعمال اسم الله في الاعتبار الثالث. فالسنن الطبيعية الواقعية يجب أن تسمى باسمها, و جعل اسم الله لها قد يضلل الناس عن حقيقتها, و هذا واقع فعلا. و المريض الطاغية الخرافي المبتدع يجب ان لا يقال عنه "الله". فينحصر استعمال اسم الله بالمثل الأعلى للراقين و هو الرحمن الرحيم.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله.

(أصل ابليس)

"هو الأول"

ما الفرق بين التفسير و التأويل؟ يقول "و لا يأتونك بمثل الا جئتك بالحق و أحسن تفسيرا" و يقول "و يعلمك من تأويل الاحاديث", فالتفسير يعني اظهار باطن المثل, و التأويل يعني العلم بالسبب الأول الذي بعث الحديث, و من هنا قال "حديث" فهو من المحدث اي الذي وجد بعد ان لم يكن, فلابد من وجود اسباب معينة بعثته و دفعته الى الظهور بعد ان لم يكن, ومعرفة هذه الأسباب هو التأويل المأخوذ من كلمة "اول" اي الأول , فهو العلم بالأسباب الأولى التي خلقت الشئ. و اما التفسير فيقتصر على اظهار باطن المثل, فقوله "كمثل الحمار يحمل اسفارا" باطنه على اعتبار هو الذي يحمل كتب الله و يحفظها و لا يدرك معانيها او لا يعمل بها. و اما ما هي الأسباب الاولى التي جعلته يحمل كتب الله و لا يدرسها او لا يعمل بها فهذا من شأن التأويل. نعم, هذه الأعمال (تأويل, تفسير, فقه, دراسة,تدبر) و غيرها مترابطة من حيثية, و منفصلة من حيثية. فمن حيث ان العلم الشامل يقتضي ان تعرف الأسباب الأولى و باطن الرموز و ان تفهم الاحكام المترتبة عليها و غير ذلك, نعم تكون هذه الكلمات مترابطة و تدل على منهج شامل في الوعي بالأمر. و هي منفصلة اذا نظرنا على كل عمل على انه تخصص بحد ذاته, فهذا مهمته ادراك الأسباب الأولى, و هذا مهمته اظهار الباطن المثول و هكذا.

من أشد الأمور تعقيدا في هذا الوجود هو النفس "و كان الانسن اكثر شئ جدلا". ففي كل لحظة تتداخل الاف الامور و الذكريات و التوقعات و الرغبات و المخاوف و غير ذلك, فتتكون النفس في هذه اللحظة و تنتج تجارب جديدة و مشاعر جديدة و افكار جديدة. و هكذا في اللحظة الاتية و هكذا دواليك. فكل خلق من اخلاق النفس, و كل فكرة يتبناها الشخص, و كل رؤية يعتقد بها القلب وراءها اسباب كثيرة متنوعة ساهمت فيها, بالرغم من ان الانسان نفسه قد يعتقد فعلا انه قبل بفكرة معينة لانه من اتباع "الحقيقة" فان وضع هذا الانسان تحت مجهر التحليل النفسي سيكشف عن الأسباب الحقيقية التي دعته الى قبول ما قبل به, او رؤية ما راه, او عمل ما عمل به. و هذه العوامل الاولية هي التي نسميها هنا "تاريخ النفس".

الى يوم ظهور منهج التحليل النفسي على يد فرويد كان السائد بين الناس هو ان الانسان يقوم بالاعمال بسبب "اختياره الحر" و كان يقبل بالأفكار لأنه "يرغب في ذلك مختارا". و من هنا كانوا يعاقبون بشدة الذين يعملون الجرائم الاجتماعية و يحكم بالقتل على "المرتد" و اسلوب الوعظ كان – و للاسف لا يزال عند الكثير- هو اسلوب الدعوة الى المذاهب سواء كانت دينية ام دنيوية ام عدمية. كانوا يعتقدون بوجود عقل واحد هو الحاكم و هو المسيطر المطلق. و اي عمل سئ كان يدل على ان هذا العقل سئ, و المسئ هو معاند ملعون قبحه الله! و كذلك تولد الأفكار في هذا العقل و قبول الأفكار كان ينسب الى اختيار حر تماما يقوم على معرفة الحقيقة و الايمان بها بطريقة حسابية رياضية, و الذي لا يقبل الحقيقة يعني انه من الذين جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا. ثم خرج فرويد بعصاه التحليلية و ضرب بحر العقل فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. فاكتشف (بالرغم من وجود رجال قبله و لكنه هو الذي وضع اللاشعور و ابرزه و أصّل له) انه لا يوجد عقل واحد, بل اكثر من عقل, و من هنا ظهر اللاشعور في ساحة الوعي الانساني, و لا أرى ان الانسان اكتشف اعظم من هذا الاكتشاف, و لا أحسب انه يوجد اعظم منه. فبعد ان كان العقل واحدا, اصبح اثنين او ثالث ثلاثة, فيوجد اللاشعور, و ما قبل الشعور, و الشعور. و الذي كان يعتقد فيه الناس انه العقل الوحيد هو "الشعور" و قد اغفلوا الاثنين الاخرين. و العلاقة بين الثلاثة متصلة و منفصلة في ان واحد من حيثيات مختلفة. و ان كان في هذه الثلاثة سيد فهو اللاشعور. و بعد هذا الاكتشاف و فروعه انقلبت الحضارة الانسانية رأسا على عقب, و لم يبق مجال من مجالات الحياة الا و تأثر الى حد ما بهذا الاكتشاف, بل اصبح المنهج العلمي نفسه مهدد في مصداقيته و حياديته المطلقة المزعومة, و لا نزال نعيش اثار هذا الاكتشاف العظيم الجبار, و الحمد لله اننا ولدنا في هذا العصر, و الشكر لفرويد على ما اكتشف و صبر.

من أهم ما لازم اكتشاف اللاشعور هو أهمية العامل الجنسي في تكوين الحياة النفسية و فروعها. بل ان الأهمية الكبرى هي لهذا العامل. فالجنس بالمعنى العام أصبح هو المفتاح الأكبر الذي يفتح ابواب غيب النفس. و فسرت

كثير من الأمور القديمة و الحديثة التي لم يفهمها الناس حقا, و بسبب عدم اخذ اللاشعور و العامل الجنسي بعين الاعتبار كما هما في الواقع, فسروا هذه الامور بطريقة سخيفة جدا لعلها لا تفسر بقدر ما تزيد الموضوع غموضا.

و مثلا, عندما نرى رجلا يترك اهله و يعيش في انعزالية متعبدا متألها ثم يرجع و يقول انه هو رسول من رب او (اب!) العوالم, كان الناس, و لا يزال الكثير منهم (و حتى لا اكرر هذه الكلمة كثيرا فاعلم ان اكثر الناس لا يزالون على العقائد القديمة في النفس و هم من اكبر المعارضين لنظرية اللاشعور و اهمية العامل الجنسي, و اكثرهم لا يعرف عنهما شئ اصلا) يعتقد ان هذا الرجل ترك اهله لانهم لا يعرفون "الحقيقة" و انه خرج بحثا عن "الحقيقة" المطلقة, و رجع لانه من خدام "الحقيقة" المخلصين, و اشباه ذلك من مثاليات عالية يناقض اولها اخرها. و كما بينا في دراستنا لقصة ابرهيم و موسى, فان هذه التفسيرات مرفوضة حتى من الناحية القرءانية اذا قمنا بدراسة فاحصة. و كذلك عندما يرفض انسان الاعتقاد بالاله رب العوالم بعد ان كان معتقدا به, فانه ينسب ذلك الى انه يرى الشر في العالم او انه لا توجد براهين كافية او غير ذلك من اسباب فكرية, و قد يعتقد هو نفسه ان هذه هي الاسباب الاولية التي دفعته لذلك, و لكن بعد التحليل تظهر أسباب اخرى. فكم من مؤمن بهذا الرب و هو أيضا يرى الشر في العالم و لم يدفعه ذلك للكفر! بل ان من الناس (و لعلي منهم) من يرون الايمان بالله و وجود الشر في العالم هو أمر ايجابي و جيد بل هو بوابة العشق! نعم قد نكون من المهلوسين, و لكن لنا اسبابنا الفكرية (!!) التي تدفعنا لذلك, وواقعا هي اسباب مقنعة لمن عاش التجربة الروحية, و على الأقل اني اعترف ان ايماني ليس مبني على الحقيقة المطلقة و لكن على امور اخرى. نعم قد يكون من اسبابي استشفاف للحقيقة المطلقة المزعومة هذه, و لكن في نهاية المطاف كما قال عمر الخيام ما معناه "للازل اسرار لا يعلمها احد من العالمين, و ما كلامنا الا حدس و تخمين".

و بالطبع فانه يوجد فرق بين أسباب الشي, و الرغبات التي يشبعها الشئ. و هذا فرق مهم جدا لا يتنبه له بعض المفكرين فتأمل. لنضرب مثلا: من اسباب البحث عن الطعام هو الجوع, و من الرغبات التي يشبعها الطعام هي الشبع و اللذة. فكون الانسان يملك رغبة في الطعام لا يعني ان وجود الطعام وهمي و من اختلاقات النفس. بل العكس قد يكون هو الاصح, فلعل النفس لا تستطيع ان ترغب في امر الا ان كان له نوع من التحقق في الوجود. و الا فمن اين جاءت الرغبة أصلا؟ و مع ذلك فهذه القاعدة ليست على اطلاقها من كل الابعاد. فالاحتجاج القديم الحديث الذي يقول ان الله وهم و انما يؤمن به الناس لانه يشبع لهم حاجة نفسية, هو احتجاج ضعيف في كثير من الموارد. فالطعام يشبع رغبات نفسية أيضا, فهل وجود الطعام وهم! بل كما قلت, لعل رغبة الناس في الله دليل على انه موجود. و لكن من ناحية اخرى, قد يرغب الاطفال في الاعتقاد بالسلاحف النينجا او السنافر او سانتا كلوس و هذا لا يعني ان هؤلاء حقيقة واقعية, اللهم الا ان اعتبرنا انهم حقيقة في عالم افلام الكرتون. فالقدر

المتيقن في المسألة انه يجب ان نفرق اولا بين سبب الشئ و الرغبة التي يشبعها الشئ. و ثانيا, ليس كل رغبة وهمية تستلزم ضرورة كون الشئ وهمي, و كذلك ليس كل شئ وهمي يعني ان الرغبة وهمية. فقد تكون الرغبة نفسية محضة, و لكن الشئ الذي عن طريقه اشبعت هو امر واقعي في الخارج. و العكس صحيح. فابرهيم قد يكون رفض عبادة الاوثان بسبب رغبة نفسية في قتل ابيه او معارضته (و المعارضة قتل أيضا بدرجة ما) و مع ذلك يكون الامر المترتب على هذه المعارضة و المعارضة ذاتها هي أمر حسن واقعي و من لوازم الحقيقة المطلقة. فلا اتصال حتمي بينهما. و قد يكون موسى خرج من مدينة فرعون بسبب شعوره بالذل لانه لقيط, و هو امر واقعي, و قد يكون ايمانه بالله وهمي رغب فيه ان يجبر نقصه امام فرعون الذي اذله و يذل فرعون نفسه. فأعيد و اكرر هذا الأمر المهم جدا: يوجد فرق بين السبب الذي خلق الشئ, و بين الرغبة التي يشبعها الشئ. و اي دعوى اتصال بينهما يجب ان تثبت كدعوى مستقلة, و ليس فقط بحجة تشابه الامرين و ان أحدهما في الظاهر يبدو انه مبني على الاخر. فاثبات عدم وجود الله لا يمكن ان يعتمد على كون فرض وجود الله يشبع رغبة نفسية للمؤمن, و ان هذا يعني ان المؤمن خلق الله ليشبع هذه الرغبة. و ابسط ما يقال للذي يستعمل مثل هذه الوسائل في البرهان هو ان يقال له: انت ملحد, و افتراض عدم وجود الله يشبع لك رغبات نفسية حتما, فهذا يعني- بناء على اسلوبك في البرهنة -على ان فرضيتك كاذبة, فيكون الله موجودا. هذا جميل! بهذا الأسلوب يصبح كفر الملحد دليل على صحة ايمان المؤمن! فدعونا من هذا الاسلوب المتهور في الابحاث, و لندقق قليلا في منهجنا في البحث و الجدل.

و من لوازم الفرق بين السبب و الرغبة انه يوجد فرق أيضا في البحث عن الأسباب و البحث عن الرغبات. ففي كل مسألة يمكن ان نعقد بحثا حول الاسباب التي دفعت الشخص الى الشئ و ستظهر لنا امور, و قد نعقد بحثا اخر هو الرغبات التي يشبعها و المصالح التي يمكن ان تبنى على افتراض وجود الشئ و تظهر لنا امور اخرى تماما. و من هنا نرى ان بعض الدراسات تظهر ان فلان كان كذابا دجالا يخرف على الناس و يبتدع لهم العقائد حتى يحقق مصالح شخصية , و نرى دراسات اخرى تظهر ان فلان نفسه هو من اعظم من مشى على هذه الارض. و من أهم أسباب الاختلاف في هذه الدراسات هو ان كل وحدة تنظر من زاوية مختلفة, و غالبا لا تراعي الفرق المهم الذي ذكرناه. فمثلا, عندما يبحث الناس في الدين العربي الاسلامي. يوجد دراسات تبين أن النبي محمد "اختلق النبوة" و دليلهم على ذلك انه من "المصالح و الرغبات" التي يشبعها هذا الاختلاق هو ان العرب لن يدينوا لأحد من الناس الا ان اخبرهم انه نبي من عند الله. فهؤلاء رتبوا نتيجة خطيرة جدا مثل "الكذب على الله بادعاء النبوة زورا" , و يستدلون على ذلك بان هذا الاختلاق يؤدي الى مصلحة للنبي محمد و للعرب. فهؤلاء كمثل من ادعى ان الطعام وهم غير موجود لان الطعام يشبع رغبات الجسم. فماذا تريدون؟ هل اذا كان ادعاء محمد للنبوة ضد مصالحه الشخصبة و ضد مصالح الناس الذين ارسل اليهم فهل هذا يعني انه كان صادقا! بهذا النوع من التفكير أنتم تجعلون محمد بين امرين: اذا كان ادعاء النبوة يشبع مصالح ستحكمون انه كذاب, و اذا كان ادعاء النبوة مضرا

فستحكمون أيضا انه كذاب بحجة ان الله لا يقوم الا بالخير الذي ينفع الناس!! فأنتم بهذا تكونوا قد حكمتم مسبقا على الرجل انه كذاب مهما قال, و لعله اذا سكت عن اجابتكم ستقولون: لو كان نبيا عنده علم الهي فكيف يسكت! و في مثل هؤلاء يقول القرءان "ألقيا في جهنم كل جبار عنيد" فالعنيد هو الذي أغلق كل باب الى قلبه حتى من قبل أن يعرض عليه الشئ. و استغرب عندما أرى امثال هذه الحجج تأتي من رجال أديان اخرى كعباد يشوا المصلوب مثلا. بهذا الأسلوب من المحاجة نستطيع ان ننسف كل فكر حتى لو ظهر الله نفسه و تكلم. فاذن القاعدة هي: يوجد فرق أيضا في البحث في الأسباب و في البحث في الرغبات.

و نعم يمكن ان تكون الرغبة هي نفسها السبب, بل و السبب الوحيد, و لكن كما بينا من قبل, فان اثبات هذا الاتصال او الاتحاد يجب ان يتم اثباته بدعوى مستقلة. كيف؟ من اقوى الطرق هو ان تثبت ان كل الأسباب التي يقدمها الانسان باطلة. فاذا لم يكن الدافع هو سبب خاص منفك عن الرغبة الى حد كبير, فان الرغبة تكون هي عين السبب. فمثلا, اذا ادعى انسان انه رسول من الله, فاذا سألناه: ما الدليل على ذلك؟ فقدم لنا ادلة معينة, و هو يدعي انه موضوعي و ان ادلته هذه هي برهان على الحق بنفسها, و انه لا مدخل للرغبات و الهوى النفسي في الموضوع, بل المسألة مثل 2+2= 4, حقيقة مجردة, ثم بعد ان نفحص ادلته هذه فنرى انها لا تساوي فلسا, فعندها نعرف ان السبب ليس علميا او روحيا او فكريا, و انما هو نفسانيا محضا. و مثلا عندما يقول القرءان انه لم تتنزل به الشياطين, و يأتي ببرهان على ذلك يقول "انهم عن السمع لمعزولون", ثم نجادل القرءان و نقول له: و لكن ما ادرانا انهم عن السمع لمعزولون؟ انت قلت لنا ذلك, انت ادعيت انهم معزولين و هي دعوى تحتاج الى اثبات بحد ذاتها, ثم بنيت على هذه الفرضية انهم لا يمكن ان ينزلوا القرءان بحجة انهم معزولين. أي احتجاج هذا! فاذا لم يقدم لنا سببا اخر للعلم بان الشياطين معزولين فعلا, و ما علاقة ذلك بتنزيل القرءان و غير ذلك, بل و ان يقدم لنا برهانا على ان هؤلاء الشياطين موجودين اصلا, فان السبب يكون باطلا, و بالتالي يكون السبب نفسيا أي بسبب رغبة او مصلحة يريد القرءان ان يقررها, و ليس بسبب حقيقة كما يدعي. فعندما لا يكون السبب معرفة فهو رغبة. و الرغبة لا تبالي الا بنفسها, و تقوم بنفسها, فحتى لو لم يكن المرغوب فيه متحقق في الافاق, فان النفس ستخلقه في مساحتها, و سيكون حقيقيا بالنسبة لها. و أبسط شرح لذلك ان تتذكر الأحلام, فالحلم يكون كالواقع بالنسبة للحالم, بالرغم من انه لا علاقة له بالافاق, فقد يحلم انه يسكن القصور و حوله الجواري و هو في الواقع يسكن عند المزابل و حوله الفئران- و العياذ بالله من هذه الاحلام! عالم النفس مكتف بذاته, و لا يبالي بالعالم الخارجي او الاخرين الا بدرجة ثانية, و قد لا يبالي كليا, و الذي يذهب الى مستشفى "المجانين" يرى العجب و الذي سيثبت له بما لا مجال للريب او الشك فيه ان عالم النفس مكتف بذاته. فالمرغوب فيه يعتبر "حقيقي" بالنسبة للراغب و ان لم يكن "حقيقي". كلما استغرق الانسان في عالمه الداخلي انفصل عن العالم الخارجي, و اذا لم يوازن بينهما سيصل

الى انفصال حاد و لعله يلحق اخوانه في مستشفى المجانين الذي يقول احدهم انه "المسيح الدجال" و اخر انه "امبراطور اليابان" و ثالث انه "ابليس نفسه"! و قد يكون كلامهم صحيحا , من يدري!

من الحقائق التي لازمت اكتشاف اللاشعور و أهمية العامل الجنسي و اهمية الرغبات و افتراقها عن الأسباب, هو الأهمية الكبرى لفترة الطفولة. و سر اهميتها هذه هو ان الطفل يكون عندها مفتوحا و قابلا لكل شئ, كل شئ. فقد تربي الولد على اساس ان السماء يديرها مجلس مكون من ثلاثة خنازير و اربعة ضفادع و سيكبر يقاتل في سبيل هذه الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان من العقلاء! فالمقاومة النفسية لا تتكون الا لاحقا, و في اول بضعة سنوات (يختلف العلماء في تحديدها, و حق لهم الاختلاف اذ لا يوجد برهان قاطع في المسألة مثل ما في معرفة تكون الأعضاء الجسمانية) و يقال انها الى سن السادسة او الخامسة, في هذه الفترة يكون الطفل قابلا لكل ما يلقى فيه, و متاثرا بشدة بكل ما يعرض عليه و يقع عليه. اذ عدم القبول و عدم التأثر انما هما من اعمال المقاومة النفسية. و حيث انها لا تكون قد تكونت بعد فان ازعاج ذبابة قد يساوي في تأثيره على الطفل كازعاج صوت القنبلة بالنسبة للشيخ. و بعد قبول اي شئ قبولا تاما, فان كل الفترات اللاحقة للحياة النفسية ستكون متأثرة بهذا المقبول الى حد ما, و حتى لو رفض هذا المقبول لاحقا, فان تأثيره سيظل حاضرا بدرجة من الدرجات. و لذلك يسلط التحليل النفسي ضوءا هاما على مرحلة الطفولة, و يجب على كل من يرغب في فهم نفس ان يرجع الى مرحلة الطفولة و يبدأ من هناك.

و من هنا نستطيع ان نبدأ البحث عن تاريخ ابليس. عندنا اللاشعور, العامل الجنسي, و الفرق بين السبب و الرغبة, و حوادث مرحلة الطفولة. هذه الأركان الأربعة هي أركان أي بحث نفسي يمكن ان تكون له قيمة في ذاته, و تكون له اضافة الى حقل المعرفة و التطوير.

من الانتقادات الظاهرة على قصص القرءان انها لم تراعي هذه العوامل الاربعة. على الأقل اللاشعور و العامل الجنسي و حوادث مرحلة الطفولة. قد يقال ان هذه الحقائق اكتشفت حديثا او بعد نزول القرءان و في عصر غير عصره, و هذا القول يلزم احد امرين: اما ان القرءان من صنع الانسان او على الاقل ان ربه انزله لقوم بعينهم و بحسب ظروفهم و مستوى علمهم, و الاحتمال الاول مرفوض من اهل الدين و هو مايراه اهل العلم المتجردين عن مقولات الدين, و الاحتمال الثاني أيضا مرفوض من اهل الدين و هو أيضا مما يراه الذين لا يرفضون الدين و لا يقبلونه بل موقفهم متردد لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء. و كلامنا هنا لأهل الدين خاصة. فان قلتم ان القرءان لم يحوي كل الحقائق, النفسانية على الاقل, فان قدسيتكم و شموليتكم التي زعمتموها ستزول. فأنتم مضطرين الى

ان تظهروا هذه الحقائق في القرءان, و الحق انها موجودة فيه و لكن لا أدري هل أقول انها موجودة على سبيل الاشارة او ام اننا نكتشفها لاننا نعرفها مسبقا فهو نوع من الاسقاط. فمثلا, لأهمية معرفة الحوادث المهمة من مرحلة الطفولة, نرى ان الله لما كلم موسى ذكره بما حدث له في طفولته كما في سورة طه. و على فرض انه ليس لنا اي علم بنظرية التحليل النفسي و غيرها في هذا الشأن, فان دراستنا العميقة المتساءلة بحدة لهذا المشهد سيوصلنا الى تساؤل يقول: و لماذا ذكر الله موسى بحوادث طفولته؟ اي فائدة في ذلك؟ و لكني لا أرى ان هذا التساؤل سيكفي وحده لاستنباط اهمية معرفة مرحلة الطفولة في الفهم النفساني و التحرر من الرواسب التي تكونت في اللاشعور من جراء هذه المرحلة, و لذلك على الأغلب سيكون جوابنا هو مثل ما يجيب اهل الدين عامة وهو ان الله يذكر موسى بنعمته عليه و انه كما انه انقذه و حفظه من فرعون حين كان طفلا لا حول له و لا قوة و لا مقام عالي عند الله فكم بالأحرى سينقذه و يحفظه من فرعون بعد ان أصبح رسول الله. فهو نوع من الطمأنة لموسى و تذكير بالنعمة ليشكره فيزيده من فضله. و اشباه هذه الحكم و الرقائق الروحية. و اما استنباط نظرية تكشف اسرار النفس كما يفعل التحليل النفسي و لا يزال, فهذا دونه حواجز كثيرا. و لذلك مثلا, نرى ان القرءان يأذن للطفل بالدخول على اهله و هم عراة, و لكن بعد ان يبلغ الحلم منعه من ذلك و هذا كما هو ظاهر مبني على الاعتقاد المغلوط بأن الطفل ليس عنده اي تفكير جنسي او اي قابلية جنسية, فهو كالصخرة او كالدابة التي لاتفقه شيئا. و كل من يعلم ثمار المباحث النفسية منذ فرويد الى يومنا هذا يدرك ان هذا الاعتقاد لا قيمة له. و لعل المخرج الوحيد للقرءان من هذا المأزق هو ان يقال ان القرءان يريد ان يرى الطفل اهله عراة و ان تتكون فيه الرغبات الجنسية و يكبتها و يتعقد نفسيا لحكم معينة يريد الوصول اليها. فكما ترى فان نظرة تظهر ان القرءان مبني على عقائد قديمة بالية, و نظرة تبريرية تظهر ان القرءان مبني على الحق و هو يعرف كل شئ و سابق عصره. و لكل قوم ان يتخيروا مشربهم. حقائق النفس مثل حقائق الجسم, لا تتميز في عصر دون عصر. فالهيكل الجسماني قبل الف سنة, هو نفسه الان, نعم قد يتطور على مر ملايين السنين , و لكن الجسم البشري, او ما يصح ان يسمى بالجسم البشري قبل الف سنة هو نفسه الان, يوجد كليتان و قلب و يدان الى اخر القائمة الهيكية للجسم كأصل. و كذلك النفس, فان شؤونها و عقدها و عملياتها هي هي, و لذلك فان تطبيق الثمار العلمية الناتجة من هذه البحوث على الشخصيات القديمة هو عمل سليم تماما. فمثلا, عندما ندرك ان الأحلام تحقيق لرغبة فان هذا يعني ان اي حلم نقل عن انسان في اي عصر من العصور ايضا ينطبق عليه هذا الاكتشاف. و عندما نعرف ان مرحلة الطفولة شديدة الأهمية و على اساسها يقوم بناء النفس في كل اطوارها اللاحقة لدرجة ما, فان هذا يعني اننا سنرى هذه الحقيقة اثناء دراستنا لكل نفسية أيا كان العصر الذي ينتمي اليه صاحبها. فالحقيقة الان هي ايضا الحقيقة امس و الحقيقة غدا, مع مراعاة الاختلافات العرضية هنا و هناك بالطبع. الاكتشافات الجديدة تسلط ضوءا قد يكشف الاسرار القديمة. و كم من سر قديم كان يفسر بطريقة ساذجة اما بسبب مصلحة او بسبب السقف المعرفي لاهل ذاك الزمان, ثم بعد ان زالت هذه المصلحة و ارتفع السقف المعرفي انكشف لنا كما يكشف ضوء الشمس ما في ظلمة الكهف.

و لكن كيف تبحث عن تاريخ ابليس النفسي و هو من الجن, عن طريق مفاتيح نفسية انسانية, هذا كمثل السعي لمعرفة جسم الأسود عن طريق معارفنا عن اجسام الطيور؟! الجواب: هذا التساؤل الجميل يستدعي النظر في مسألتين, الأولى هي من هم الجن في سياق القرءان؟ و الثانية ستبنى على اجابتنا عن هذا السؤال الأول فلنؤجلها.

من هم الجن؟ النظرة السائدة ان الجن هم كائنات غير البشر, و كلكم تعرفون ما اعني فلا نطيل بالشرح. و لكن ما يظهر من سياق القرءان هو ان الجن ليسوا كما قيل لنا, بل هم نوع من البشر اي نوع من انواع العقليات في البشر. فالبشر هم الجنس, و الجن و الانس و الطير هم عقليات معينة كمثل ما نقول ان لهذا البشر عقلية فنان و لهذا عقلية عالم و لهذا عقلية مجرم و هكذا. و لهذا أدلة كثيرة نكتفي بذكر اهمها. يقول الله "قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان يأتوا بمثل هذا القرءان لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا", و الان لنطبق النظرية السائدة على هذه الاية. و اذا فعلنا فان الله يكون يقول كلاما غير حكيم بل سخيفا بالمرة. اذ لو كان الجن هم كائنات مختفية اخرى, فاولا ما أدرانا انهم لم ياتوا بمثل هذا القرءان؟ لعلهم اتوا بمثله و لكن انعدام الاتصال بيننا و بينهم هو ما حال بيينا و بين معرفة ذلك. فهذا كمثل ان أقول لك: ان هذا المقال الذي تقرأه الان لا يستطيع احد من اهل المجرة التي تبعد عن مجرتنا (درب اللبانة) بمئة الف سنة ضوئية ان ياتي بمثل هذا المقال, و بسبب هذا يجب ان تتبعني و تطيعني لان هذا دليل على الاعجاز و ان هذا المقال نزل علي من عند الله! و ظاهر سخافة هذه الحجة, و أبسط ما سترد به علي (هذا ان لم تضحك على لحيتي و تذهب!) هو انه ليس بينك و بين اهل تلك المجرة اتصال أصلا حتى تدرك انهم جاؤوا بمثل هذا المقال ام لا. ثم يقول "لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا", اذا كان هذا الكلام كلاما شعريا يراد به المفاخرة و التحدي الطائش الطفولي فان الاية يكون لا بأس بها , و سيسقط القرءان من كونه كتاب الله و العلم الى كونه كتاب اعرابي جاهلي. اذ كيف تتحداني ان اتصل بكائنات خفية (و بالمناسبة اهل الدين هذا يقتلون السحرة الذين يتصلون بالجن او يحاولون الاتصال بهم, من يدري لعلهم يخافون ان يكتشف الناس انهم اتوا بمثل هذا القراءان!! فتأمل) و هذا الاتصال ممتنع علي؟ حتى يكون التحدي في محله يجب ان يكون بيننا و بين الجن اتصال و اماكن اجتماع حتى نتظاهر مع بعضنا البعض لكي نسعى الى ان ناتي بمثل هذا القرءان, ثم ان عجزنا فان الاية تكون قد تحقق مقصودها و نستطيع وقتها ان نقول "صدق الله". فأي اتصال هذا بيينا و بين الجن (بالمعنى الخرافي لألف ليلة و ليلة)؟ هذه الاية تكفي وحدها لاثبات احد امرين اثباتا تاما: اما ان القرءان شاعري اعرابي جاهلي, او ان الجن هم من البشر كما قلنا و يكون اسمهم من باب الأمثال التي طالما اكد القرءان انه يضرب "الامثال للناس". و تستطيع ان تتخير اي الامرين, و لكني سأختار الثاني و ابني عليه.

ساذكر دليلا اخر و نكتفي: يقول في مشهد استماع الجن للقرءان و ايمانهم به أنهم فهموا القرءان و أيضا انهم قالوا "انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى". أقول: أين تعلم هؤلاء الجن (بمعنى الف ليلة و ليلة) اللغة العربية؟ أتراهم كانوا يدرسون على امرئ القيس ام كانوا من تلاميذ فطاحلة العرب, ام انهم كانوا يملكون معجم كلسان العرب لابن

منظور او معجم مقاييس اللغة يرجعون اليهما لو اشكلت عليهم كلمة قرءانية, ام انهم كانوا من شدة علمهم باللغة و عظمتهم فيها لم يتعلموها من بشر بل هي موجودة فيهم فطريا أو انهم يعرفون كل اللغات فان كانوا فعلا بهذه العظمة و الاعجاز فان هذا يزيد التأكيد على احتمالية أن يكونوا قد اتوا بمثل هذا القرءان و تزداد الحاجة الى الاتصال بهم. و ثانيا, قولهم "سمعنا كتابا انزل من بعد موسى" هذا يعني انهم كانوا يؤمنون بموسى, و على حد قولكم ان محمد وحده هو الذي ارسل الى الثقلين اليس كذلك؟ ثم ان كتب كثيرة انزلت من بعد موسى كالزبور و الانجيل و غير ذلك. و ان اخذنا بقولكم ان موسى كان عبرانيا و كتابه عبراني فهذا يعني ان هؤلاء الجن يعرفون العبرانية أيضا, جميل جدا! متعددي اللغات أيضا , و علماء بمقارنة الأديان, يجب أن نتصل بهؤلاء لنعرف هل أتوا بمثل هذا القرءان ام لا. و نلاحظ ايضا ان الجن يتحدثون بالعربية, و لهم اقوام "يقومنا اجيبوا داعي الله", أين هؤلاء, و كيف يجيبون داعي الله البشري؟ و يا ترى من يعلم هؤلاء الجن احكام الدين و عقائده في يومنا هذا؟ اتراهم سنة ام شيعة؟ فان كانوا قد اخذوا الدين عن النبي فقط فيجب ان نتصل بهم لنعرف الدين الصافي الذي لم تعبث به ايدي الامويين و العباسيين و المذاهب و الفرق و الاهواء, ألا يعني هذا ان الجن قرءانيين! الا ان قلتم ان صحيح البخاري له طبعة جنية و ان توحيد الصدوق ينشر في قوم الجن فهذا امر اخر. فالجن يتعاطون مع القرءان, و دعوة "داعي الله" للجن هي بهذا القرءان, و اثر ذلك ظاهر في الافكار التي تولدت فيهم بعد ان سمعوه "لن نشرك" و "ما اتخذ صاحبة و لا ولدا" الى اخر قولهم في سورة الجن و غيرها. و عجيب انه في الجن من يعتقد ان الله اتخذ صاحبة و ولدا. و النصارى او "المسيحيين" لا يقولون ان يسوع جاء للجن ايضا, اترى الجن يتأثرون بافك البشر أيضا؟ فهم معنا و هم ليسوا معنا في ان واحد. يحيطون بنا و يسمعون افكارنا و اديانا و يتأثرون بها و يفهمون لغاتنا, و قد امر الله الانسان ان يدعوهم بالقرءان, كل هذا و هم ليسوا بشر, و لكنهم كائنات الف ليلة و ليلة المختفية الاعجازية. عجيب فعلا ماذا يمكن ان يفعل الدين في عقل الانسان. ثم تصور اني قلت لك ايها القارئ ان كائنات عجيبة خارقة خفية قد استمعت لكلامي و قرأت مقالاتي و كتبي و اعجبت بها عجبا شديدا و احبتها و تعلقت بها و ذهبوا فورا الى اقوامهم لكي يبلغوهم اسرار كلامي و افكاري العظيمة, ما رأيك؟ الن يكون هذا خداع من النوع الرخيص؟ فأبسط ما يمكن ان ترد به علي (هذا ان لم تستخف بي و ترمي علي الطماطم!) هو انك لا تعرف هؤلاء الكائنات اصلا, و لا يوجد دليل على وجودهم, فهم من اختراعك انت او انك استغليت خرافة اخترعها غيرك لتؤيد دعوتك. و اذا قلت هذا فاني لن املك جوابا لك.

فاذن الجن هم من البشر, عقلية من العقليات البشرية. و يوجد دليل في قصة ابليس على هذا المعنى ايضا. يقول الله ان ابليس "كان من الجن ففسق عن امر ربه, أفتتخذونه و ذريته اولياء من دوني و هم لكم عدو, بئس للظالمين بدلا". تأمل جيدا كيف ربط برابط السببية بين ان ابليس "من الجن" و "ففسق عن امر ربه". ماذا فعل ابليس و ما هو فسوقه هذا؟ قال الله عن ادم "فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" فأمر الله كان متعلقا بالتكوين الظاهري "سويته" و التكوين الباطني "نفخت فيه من روحي". فالعبرة هي في التكوين الباطني, اي ان سبب السجود لادم هو وجود روح الله فيه. فماذا كانت ردة فعل ابليس؟ قال "ما كنت لاسجد لبشرا خلقته من

صلصل" و "انا خير منه خلقتني من نار و خلقته من طين", لاحظ انه لم يذكر شيئا عن روح الله التي في ادم, كل اعتراضه كان على الظاهر و هو قد انكر الروح او "كفر" بها, و لذلك يقول الله ان ابليس "كفر", كفر بماذا, لماذا سماه كافرا(و الكفر كما هو معلوم هو الستر و التغطية على الشئ) فما الذي غطى عليه ابليس و لم يعتبر وجوده؟ هل انكر وجود الله و ربانيته و حاكميته؟ لا. بل ان القرءان يحكي انه يقول "اني اخاف الله رب العلمين". و ينقل لنا مناجاته مع الله و انه دعاه و طلب منه و لم يستكبر عن ذلك "رب انظرني الى يوم يبعثون" و معلوم ان الدعاء هو من اكبر صور العبادة و الاعتراف بالافتقار, و ابليس فعل هذا. هل انكر وجود الاخرة و الحساب و الجنة و النار؟ أيضا لا, بل انه يعلم انه منظور الى يوم الوقت المعلوم, و يعلم انه يضل و يقصد الاضلال لكي يثبت لله انه افضل من ادم "ارأيتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتن لاحتنكن ذريته الا قليلا". فبماذا كفر اذن؟ الجواب واضح منذ البداية: انه انكر الروح التي في ادم. فهو قد انكر "و نفخت فيه من روحي", فهو لا يعترف بالروح. فهو جسماني بحت, مادي بحت, و لذلك هو من "نار". فهو لا يقيم اعتبارا للباطن و الروح. هذه اكبر خصائص الجن. و لذلك كلمة "جن" ذاتها تدل على التغطية و الظلام كالجنين في ظلمات رحم الام, و كمثل "فلما جن عليه الليل" في مشهد رؤية الملكوت في قصة ابرهيم. و لذلك قال "كان من الجن ففسق عن امر ربه" و هذا يدل على ان انكار الروح و الباطن هو اكبر اسباب الفسوق عن امر الله, اذ امر الله روح بثوب طين. فقد يكون الفرد يؤمن بالله و الملائكة و الجنة و النار و الربانية و الحاكمية و يدعو الله و يعترف بفقره و كل ذلك, و لكن اذا انكر الروح و الباطن في امر الله فهو مع ابليس, بل هو من ذريته, اذ المثل هو النموذج الأب و من ينطبق عليه المثل هو من ذريته. و لذلك قال "أفتتخذونه و ذريته اولياء" من بالله عليكم يتصل بالجن و الشياطين الخرافيين و يتخذهم اولياء؟ من يعرف ذرية ابليس الخرافي و يحبهم؟ كم مرة سنكرر و نعيد ان القرءان امثال للناس, واذا لم تفهموا هذا فان العذاب سيحل عليكم بل هو حال عليكم و سيزول الدين كله من الوجود, دينكم بالطبع, و ستكونوا عقبة في وجه الراغب في الله و كتابه. فالقرءان هو الباب الذي باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب. هل وجدنا في كل دراساتنا العذاب و السخافة تأتي الا بسبب ظاهر القرءان. القصص تحول الى تاريخ ظاهري فتصبح سخافة في سخافة, و مطعن كبير في القرءان, الرموز كالملائكة و الجن و الله و الرب و السماء و الأرض و غير ذلك تؤخذ على ظاهرها فتصبح سخافة في سخافة و يناقض اولها اخرها, و يتحول القرءان الى ساحة حرب تقتل الايات بعضها بعضا, و هل ما يسمى بالنسخ الا من اجلى صور هذه الحرب. هذه الاية تلغي هذه الاية, و هذه الاية تعارض هذه الاية, و هذه الفكرة تعارض تلك الحقيقة. كل هذا يرجع في التحليل النهائي الى امر واحد و هو "انكار الروح و الباطن" كما فعل ابليس تماما و يفعل. عبادة التماثيل, هذا ما يفعله الناس. و لابد حسب السنة الالهية ان ياتي من يدمر هذه التماثيل, و لكل تمثال ابرهيم سيجعله جذذا, و ها نحن نرى المدمرين من كل حدب و صوب ينهالون على القرءان, بل على ظاهر القرءان و معهم حق في ذلك, بل انهم من جنود الله. و بعد فناء التمثال سيظهر الروح كما قال ابرهيم "فانهم عدو لي الا رب العلمين".

قد يقال: فكيف يؤمن الجن بالقرءان و يسلموا اذا كان الجني هو الذي يكفر بالروح؟ الجواب: كالذي يربى على الكفر ثم يؤمن, كالذي يكون جاهلا ثم يدرك, فالنفس فيها الاستعداد لتقبل كل شئ, فقد تكون في مرحلة ما ينطبق عليها وصف الجن الكفرة بالروح, ثم يتخلوا عن هذه الافكار التي تحجبهم فيروا الباطن, و لذلك ينقل عن الجن انهم رفضوا افكارا و اعتقادات كثيرة باطلة, فهذه الافكار التي رفضوها بعد الاستماع الى القرءان و فهمه هي التي كانت تحجبهم عن حياة الباطن الروحي. و هذا يدل على ان التحول من الحيوة الدنيوية الى الحيوة الروحية سبيله هو دراسة القرءان, و لكل نفس سبيل للخروج الى فضاء الله و سعته. "لتخرج الناس من الظلمت الى النور باذن ربهم".

فاذن, ابليس هو من البشر. و نفسيته بالتالي تكون من نفسيات البشر. فينطبق عليها ما ينطبق على البشر.